كان كبيراً بمحبته

●

ساعة ادرك ان العنف يوجد العنف ويتواصل معه في سلسلة الالم والخيبة ، تلمس نفسه في المحبة انسانا كبيرا ، واستقام له قصد التغيير الذي رغب به لامته وشعبه عبرها .

لقد ادرك بثاقب نظره ان ثمة مجتمعا قد يولد مرفها وكبيرا ومتأصلا في العصر بدون محبة ولكنه مجتمع يظل انانيا . قاتلا ومقتولا في ذات الوقت وهذا ما لا يريده لمجتمعات امته .

كانت الثورة في اعماق عبد الناصر تحمل هاجس الامة للتغيير منذ اجيال واجيال ، وكانت تنتظر من يحمل اليها حقها في الحياة الكريمة الحرة ومن ينصب العدل الاجتماعي رائدا لمسيرة الشعب الى غده الاكبر .. وكان ان تحقق الحلم به وصارت الثورة بانسانها الكبير كبيرة بمحتواها ومرماها ، لانها تأكدت وعبر العديد من خطب عبد الناصر واقع محبة وعدل « اننا نحقق العدالة الاجتماعية ونعمل من اجل محو الامتيازات الطبقية بوسائل سلمية وبدون عنف » .

ان الامة التي لا تتطور ولا تريد التغيير الذي يضعها في العصر امة تحكم على نفسها بالموت ، ولكن الامة التي تلتزم الموت سبيلا الى التغيير لن توفر لنفسها امكان البقاء ايضا ، ولذلك سعى عبد الناصر الى التغيير « بالوسائل السلمية ، بدون حرب اهلية ، بدون دماء ، بدون انتقام » وهذا ما يعطي « ثورته الجديدة في التاريخ » سمتها المميزة الرائعة .. وعسى ان نتواصل بها امة خير ومحبة .

ب . ح .

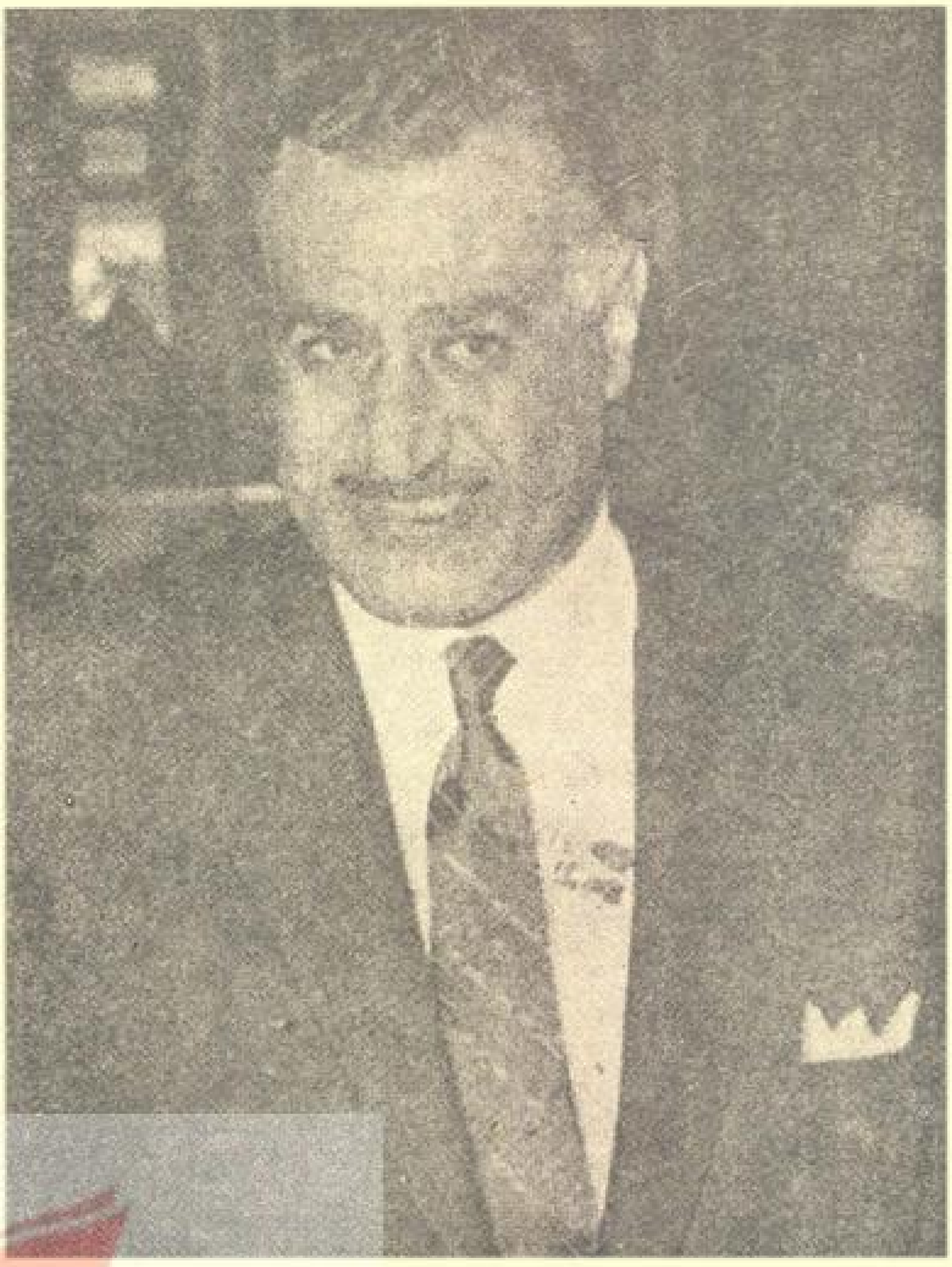


لا ... لم تكن ...

في ليلة مثل ليالي الناس
مألوفة بغيمهـا
بنجمهـا
بكل ما في رحمها
من هاجس يسأل عن ولادة
وهاجس ينطر في الاجراس
ولدت مثـل الناس
كبرت مثـل الناس
ومثل كـل الناس
سمعت وقع خطوك المهيب في دروبهم
ركضت خلف وقعه
اتعبك الركض وراء وقعه
وعبر ما في وقعه المهيب
ادركت أن دربهم ، حكاية في لحظة
وضحكة فـي لحظة
والف الف لحظة كان الطريق ملتقى كئيب
عرفتهم ... حببتهم
ارخيت في قلوبهم ... كفيك
ادرت عن عيوبهم
عينيـك
وكنت في غيوبهم
الموعـد الحبيب
واليوم اذ ترحل عن دروبهم
لا ترحـل
فصوتك المجلجل
يغور في قلوبهم .. يطل من غيوبهم
الدرب والضحكة والحكايه
والبدء .. لا النهايه
بـدء بـلا نهايه

ولدت مثـل الناس
ولم تكن كالناس
لا ... لم تكن ..
مذ جاوزت رؤاك ما في هاجس
يسأل عـن ولادة
وهاجس ينطر في الاجراس

بلنـد الحيدري



جمال عبد الناصر

بقلم فوزي عطوي

تنام ، وامة ثكلى تضام ... سلام ، ايها الثاوي ، سلام
تحلق فوق أجنحة المنايا ، ... فلا امل يطوف ، ولا ابتسام
اذا اجهدت من دنياك حقا ، ... فعذرا ايها البطل الهمام
سنبني من مآسينا ضريحا ... على اشلاء بلوانا يقام

في العظماء رجال يصنعون الاحداث ، او رجال تصنعهم الاحداث ، فيجسدون آمال الامة ، او تجسد الامة آمالها فيهم ، واما جمال عبد الناصر فلم يكن ، في العظماء ، صانع احداث او صنيعة احداث ، وحسب ، بل كان الرجل ، بحد ذاته ، هو الحدث الكبير .

، على امتداد ثمانية عشر عاما ، من التاريخ العربي المعاصر ، اختصر جمال عبد الناصر تاريخ العروبة ، قديمها وحديثها ، فحمل بين برديه شخصية البطل — الاسطورة الذي طالما استهوى تاريخنا القديم ، كما حمل في قلبه وعقله ووجدانه كله ، مطامح العرب وتطلعاتهم ، فاعلنها ، مخلصا ، في كل ما قال وخطب وكتب ، وجسدها ، مخلصا ، في كل ما أتاه من جليل الاعمال .

ولم يكن طموح عبد الناصر — وهو طموح المئة مليون عربي — ليقف عند حدود تبديل نظام حكم بنظام حكم آخر ، والا لكانت حركته دارت في اطار الانقلاب العسكري الصرف ، وانما آمن عبد الناصر أن ممارسة الحكم الدستوري ، في مصر ، يجب ان تقترن به ممارسة أخرى للقيادة القومية ، والريادة الوطنية . ذلك أن تجسيد اهداف الامة ، وبعث أمجادها ، قلما تأتيا لرجل ، بصفته حاكما فقط ، الا اذا كان في شخص هذا الحاكم من المواهب القيادية ، والكفاءات الطبيعية ، ما يستهوي الجماهير ، فيسيطر على مشاعرها ، ويوجه تحركاتها ، ويقودها الى الهدف الذي رسمته الامة ، على امتداد الاجيال ، فجاء يتبنى الهدف ، ويسلك اليه ، مع الشعب ، سواء السبيل .

كانت كلمة جمال عبد الناصر ، وستبقى الى سنوات غير قلائل ، هي الحكم الفصل في كثير من القضايا والاشخاص : ما يباركه الرجل ، يعتبره العرب مباركا ، ومن يصمه بمذمة ، فهو الذميم الذي تنصب عليه لعنات الشعوب .

ولم تكن هذه الاستجابة من الشعب لارادة القائد دليلا على انعدام ارادة الشعب ازاء ارادته ، وانما ، على العكس من ذلك ، كانت الاستجابة من الشدة ، والعصف، والاطلاق ، بمقدار ما كان الايمان قائما بأن ارادة القائد هي ارادة الشعب ذاته ، بل هي الارادة الاقوى ، لانها الارادة اسمى .

وقبل عبد الناصر ، كانت الشعارات كثيرة ، واكثر منها المباديء والافكار التي تملأ بطون المؤلفات ، او التي تتراقص على شفاه الخطباء والادباء والشعراء ، او التي تجول في صدور العرب اجمعين . ولكن بروز عبد الناصر ، بالصورة التي عرفها التاريخ المعاصر ، على الصعيدين الدولي والعربي ، كان مرده الى حاجة الشعب العربي المتطلع نحو كثير من القيم والمثل والاهداف ، لقائد بطل يحطم اسطورة التخلف ، ليبني الكرامة القومية ، وليكون رمزا لمطامح كثيرة ، وعنوانا لعبقريات فذة ، تجسدت فيه ، بعد اذ كانت متناثرة في رحاب التاريخ العربي ، وبذلك كان الرجل من فلتات الزمان التي لا يجود الدهر بمثلها الا نادرا .

كان جمال عبد الناصر خالص الوطنية ، صافي العروبة ، مؤمنا بحق اصغر فرد في اصغر بقعة من العالم الواسع ، ايمانه بحق ابنه او حفيده ، بالحياة الكريمة التي لا يجوز أن تشوهها تقسيمات طبقية موتورة ، او ظروف اجتماعية قاسية .

اما ان جمال عبد الناصر اسطورة ، فذلك صحيح ، وهو امر لا يحتمل نقاشا ، ولا ينساق الى جدال .

جمال عبد الناصر حرر مصر ، وطرد المستعمر من بلاده ، وساعد على طرده من كل شبر عربي يئن تحت سياط غاصبيه وجلاديه ، فكانت بداية الاسطورة .

ثم انتصر جمال عبد الناصر ، وانتصر العرب مع جمال ، في معركة السويس ، بعد تأميم القناة ، فاندحر اشرس عدوان ثلاثي عرفته مصر ، وسقط زعماء ، وانهار حاكمون ، في دولة كبرى ، وبقي عبد الناصر منتصرا ، في استعادة حق مصر ، فكان الفصل الثاني من

الاسطورة ، حيث تبدل مقياس العلاقة بين العرب والمستعمرين ، فلم يعد الحق يشحذ او يطلب ، وانما غدا الحق يؤخذ ويستعاد ، بالسياسة اذا اجدت السياسة ، وبالقوة اذا لم يرتفع ، في الميدان ، الا ضجيج القوة .

بعدئذ ، سطر جمال عبد الناصر الفصل الثالث من الاسطورة ، اذ حقق احلاما واسعة كان العرب يتوارثونها منذ مئات السنين ، فانعقد له ، وللشعب العربي معه ، لواء الوحدة العربية بين مصر وسوريا ، فكانت الجمهورية العربية المتحدة باقليميها ، قبلة انظار العرب الذين بدأوا يتحسسون قيمة اتحادهم ، ومدى قوتهم ، كما كانت شوكة في حلق الاستعمار الذي ادرك أن العرب بدأوا يكتبون له بداية نهايته ، فكانت ردة الفعل قوية ، وكانت المؤامرات والتحديات والحزازات التي اودت بالوحدة ، فكان الجرح بليغا ، وكان الالم القومي اكبر من احتمال ابناء الامة .

وفصل الاسطورة الرابع ، سجله جمال عبد الناصر ، في نكسة حزيران سنة ١٩٦٧ ، يوم وقف الشعب العربي على امتداد ارضه ما بين المحيط والخليج ، يتقبل النكسة بروح صابرة صامدة ، ولكنه يرفض تخلي القائد عن الشعب ، في احلك ايامه المصيرية ، حتى اذا عاد عبد الناصر عن استقالته ، كانت حقيقة الانتصار ، اكبر واعظم واشرف من خرافة الانكسار .

وللاسطورة ، في عبد الناصر ، فصول وفصول . ولكن آخرها وآلمها ، اسطورة موته المفاجيء ، بعد ان جمع العرب في داره ، واصلح بينهم ، وودعهم في محبة ووداعة ، ثم اغمض جفنيه ، مستسلما لنعاس طويل لا يفيق منه الا في رحاب الخلود .

ويقينا ان اذكى كاتب مسرحي ، لو حاول ان يخترع احداث الفصل الاخير من اسطورة عبد الناصر ، وان يصل الى الخاتمة المفجعة التي وصل اليها العرب ، يوم الحزن الكبير ، لما صدقه الناس . ولهذا ، فكثير منهم لا يصدق ، الى الآن بموت الاسطورة البطولية الخالدة ، لولا ان الموت حق على العباد .

واذا كان جمال عبد الناصر ، في اطلالته البطولية ، اسطورة ، فهو ، في حقيقته الانسانية ، رجل من طينة البشر ، عاش آمالهم وآلامهم ، وعانى ، في بلاده ، مرارة الاحتلال والاغتصاب ، وكابد اوجاع الكبرياء الجريح .

رجل لم تخلبه اضواء الحكم ، ولا افسدته بهارج السلطان ، ولا ابعدته عن امنيات قومه ، رسميات وشكليات تقتضيها ممارسة السلطة ، على مستواه ، بل بقي عبد الناصر انسانا وادعا ، ضعيفا ، مؤمنا ، يصيخ لهتاف العقل ، كما يستجيب لنداء العاطفة .

كان عبد الناصر انسانا وادعا ، يخالط العمال والفلاحين والطلاب ، ويستمع اليهم ، ويستجيب لمطالبهم ، حتى ربيت على يديه اجيال تعتبر اسمه ، وحده ، مبدأ وشعارا .

وكان عبد الناصر مؤمنا ، يقيم الصلاة لربه ، ويؤدي قسطه نحو شعبه ، وكان يستوحي في انجازاته ما يحقق مصلحة شعبه ، ومن هنا انه كان صانع البطولة ، وسيبقى اسمه ملهبا لحماس الابطال ، على مر التاريخ .

ولقد تميز عبد الناصر بطاقة بشرية قل ان تدانيها طاقة بشري ، سواء في عمله ، او في مطالعاته ، او في خطبه ، او في تصريفه لشؤون الدولة ، او في اهتماماته العربية والعالمية ، حتى اختزن من الثقافة والعلم والسياسة ما جعله في طليعة رجال الفكر المعاصرين .

ولو جمعت جميع خطب عبد الناصر وتصريحاته واحاديثه ، ولو قننت التشريعات الاصلاحية التي استحدثها ، لاصبحت في حرز من عوامل الزمان ، لا سيما وهي جزء هام من التراث العربي والانساني .

فيا ايها الكبير الذي رحل ،

ظلم لك ان نعدد ، يوم ذكراك ، بعض مآثرك ، لاننا نعجز عن تعدادها جميعا ،

ويا أيها العظيم الذي غاب ،

نستعير من بريق عينيك بريقا نقاوم به الدموع التي نسفحها كلما ذكرناك ، وكلما نقل الاثير الى اسماعنا شذرات من صوتك الحبيب ، وكلما وقعت أبصارنا على نثرات من عبقري عطائك .

ونستعير من مديد قامتك مددا ، نطل به على الدنيا اطلالتك ، يا ماردا بطلا غدا في الخالدين ،

ومن قبس رسالتك ، نستلهم قبسا نكمل به شوطك ، وانت من علياء ربك ، ترقب مسيرة شعبك الظافر ،

ومن روحك الفذة ، نستمد كرامة العمل ، وشرف النضال ، تحت اللواء الذي ما طاطأ ، في يدك ، ولا وقع . اننا نغبط ابناء الخلود ، اذ غدوت بينهم ، لانهم ربما استأهلوك اكثر مما استأهلناك ، هنا ، على الثرى الفاني ، فأعادك ربك اليهم بطلا خالدا ، لا يضيع اجره .

وعهد علينا أن نكمل ما بدأت به ، وان نمحو آثار عدوان هز منك الضمير ، واقلق الوجدان ، واسكت القلب الكبير الى الابد .

وسنذكرك ، يا جمال ، ايها الحبيب الذي حق لنا بكاؤه ، يوم حزننا العظيم .

سنذكرك كلما هبت على العروبة نسمة تحمل ذرة من سفوح الاهرام ، او طيبا من شذى النيل الساحر ،

سنذكرك كلما شعت عين صقر ، وكلما رف جناح نسر يقلق الاجواء بالمطامح والامنيات ،

سنذكرك كلما تبسم الجرح في ثغر العروبة ، في انتصاراتها ، وكلما تجهم الامل ، في ضمير الامة ، في لياليها الحوالك ،

سنذكرك ، يا جمال ، عظيما مر كالحلم في بلادنا ، فجعل الاجيال القادمة تحسدنا على اننا عشنا في عصره ، ورأيناه ، وعرفناه عن بعد وعن كثب ،

وعهد علينا ذكراك ، يا بطل !!

فوزي عطوي

علمتنا ملحمة الرحيل

الى جمال عبد الناصر

•

ثريا ملحس

•

يا ليل .. يا ليل .. يا ليل
حول النهارات الى ليل
أطفىء العيون
أطفىء النار والحديد
يا ليل .. يا ليل
لم أطفأت أعز صوت علينا
بالهم .. بالوهن .. بالانهيار
كل شيء تسمر في الجدار
حروفنا صلبناها على اللسان
اللسان سد طريق الهواء
أمتي منكوبة الحظ
الحظ .. أي حظ « يا بصارة براجة »
يا عرافة .. يا زاجرة الطير
أي حظ .. أي شقاء .. أي نكبة
يا أيها الذي عقد منا اللسان
لم تركتنا في شوارع المدينة يتامى
نام الاشلاء شلوا شلوا ؟
يا أيها المختار
يا أيها الذي كنت بالامس مالىء الديار
أقفرت الديار
يا أيها الذي تركت وجوهنا صفراء
أقفرت الديار
لماذا تركت « البصارة » تداعب الغيب
تقول ما لا يقال
تفتح عينيها .. تحدق الى الغيب ؟
الغيب أسود مثل غربان الخراب
مدينتي سوداء .. خبرني الغراب
مقبرة السنونو والعندليب
عيوننا تسافر مع عينيها
ترحل في كل واد .. تشهق .. تركض .. تطير
يا الله .. أبعد الكأس عنا يا الله
طلعت علينا من جبين الغيب
من عروقه ، من العصب
عدت الى عالم الغيب كالمستحيل
طارت قلوبنا وراءك نحو الفضاء
تصطادك مرة أخرى
تلم كل حرف
تعيد لنا صوت ناصر

ناصر .. ناصر .. ناصر
عادت قلوبنا الى التراب
تنزعك من التراب
بين الفضاء والتراب
حيرة الانسان منذ البدء
يا الله .. حملتنا ثقلا ووهنا
أبعد الكأس عنا ألف مرة
طلعت علينا من جبين الغيب
فكنت ماردا جبارا
كبوت .. عرفت كبوة الابطال
كالجواد عدت الى الطريق
في الطريق ، يحدوك أمل جديد
وآخر جديد .. جديد
عرفت بداية الطريق
عرفت الرحيل .. عناء الرحيل
في الرحيل كانت الايدي على القلوب
عيوننا ترحل وراءك مع الرحيل
تعيد لنا صوت ناصر
ناصر .. ناصر .. ناصر
وراءك أيها البطل
كنا في البداية .. في النهاية
في نصف الطريق
غبت كما تغيب عنا الحكاية
كأننا لا نستحق حتى الحكاية
حتى نهاية الحكاية ..
الحكاية ظلب بلا نهاية ..
يسألنا الصغار قبل الكبار
أحلل ربي عقدة من لساني .. تسمرت في حلقي
في حلق أطفالنا والكبار
نحكي الحكاية للصغار
لعل واحدا يطلع من جبين الغيب
طلعت من جبين الغيب
أين الغيب بعدك أيها المختار ؟
عند نباك مثلما يعذب الابن أباه
خدعناك مثلما خدع التلميذ المعلم
عذبناك .. خدعناك ..
أحببناك مثلما تحب الام وليدها
غرباء نحن ، غرباء

نملأ الدنيا أخبارا وأخبارا سوداء
تنعق في مدينتي السوداء
بعد مخاض دام آلاف السنين
بعد رحيل .. رحيل
عرفت قومك .. أمتك .. العالم
نصبت الحوار شراعا شراعا
ثم أبحرت مثل الابطال
تجر وراءك الملايين بالعزم والكرامة
كنا نردد مع الصدى ناصر
ناصر .. ناصر .. ناصر
يا أيها الموت الجبار
يا أيها الجبار الذي قسا وقسا
يا أيها الذي خطفت أعز اشارة
من بلادي الحزينة ..
من بلادي الكسيرة ..
من بلادي التي شوهها اغتصاب الارض والتراب
هدها الكفر بالانسان
كأننا أيدي المغول والشر ..
ما الذي خبأت لنا المحارة في الملايين ؟
مرة أخرى نلوب على المحارة
في عمقها اضعنا الصدارة والمهارة
يا ملايين .. يا مئة مليون
اركعوا على الشواطىء
سواعدكم يا مئة مليون
لملموا الاصداف .. مئة مليون محارة
لا تقتلوا المحارة
أعيدوها الى البحار
لعلها تطلع من جبين الغيب ((دانة))
سمروا عيونكم في أعماق المحارة
يا بحارة
جئت بالامس من جبين الغيب
فكنت راية الاماني
دانة البحارة
على رأس المحارة ..
شددنا السواعد حتى النهاية
عيوننا بيضاء .. قلوبنا واجفة
كأسطورة .. نصدق .. لا نصدق
نجمع من البراري الاقحوان :
نصدق .. لا نصدق
نجعل منها الاكوام
فجعت بأمي مرة
بقلبها الكبير .. بحبها
في بيتها .. في اقليمها الصغير كانت حكاية
حكايتها صغيرة
كانت كل شيء
تشدنا .. تشد أركان بيتنا
فجعت مرة أخرى
فجيعة كبرى .. فجيعة عظمى
بحكاية كتبها بطل الرواية
بملحمة طويلة
كانت في الغيب .. في المخاض

في ظن الزمان ...
ما سارت قدماي للوداع
ما كتبت اسمي مع الاسماء
خجلت من الدنيا
من مئة مليون أخ
غسلت يدي من الجريمة
هربت من كل فرد
من مئة مليون أخ
ثلاث مرات سرنا وراء نعوشنا
سلخناه عنا ثلاث مرات
((تبت يدا أبي لهب وتب)) ..
تبت أيد حملت الدمار
هربت من الخزي والعار
أفلا نستحق ملحمة الكبار ؟
يا الله .. يا الله ..
أفلا نستحق ملحمة الكبار ؟
كالصرح هوى في وجه الشمس بصلابة الايمان
بحنان الاب والام في جمع الشمل
كالحكم في ((المقال))
هويت أيها البطل بين أيدينا
حولك نحن كالنمال
نحاول نزعك من قبضة الموت
لعلك عدت الى جبين الغيب
تساعد الغيب .. تسندنا
تصد الشر عنا .. تدفعنا
تبعد الكأس عنا .. ترحمنا
ترعى صغارنا
تظل ترحل .. ترحل معنا
تتصدى للشر في الارض والفضاء
لا تصدق أننا كفرنا بك في الهزيمة
لا تصدق أننا سلخناك عنا مرة
لا تصدق أننا قتلناك ثلاث مرات
لا تصدق أننا بعثنا هولاكو من القبر
لا تصدق أننا مغول وتتر
أنت في جبين الغيب مرة أخرى
كن كما كنت ترعانا
تابع رحيلك من أجل الصغار
قلوب الصغار بيضاء
عيونهم كاتساع الفضاء
حكايتك معهم مثل الكتاب
ملحمة بطل من أبطال أمتي يحفظها الصغار ...
من أجل الصغار .. من أجل عيونهم
ظل في جبين الغيب ترعانا
من أجل الصغار .. من أجل عيونهم
من أجل حبهم للحكاية
حكاية البطل الذين يحدق اليه الصغار حتى النهاية
الصغار الطاهرون هم البداية
علمهم ملحمة الرحيل
من البداية حتى النهاية

ثريا ملحس



وديـع فلسطين

الموت في حيـاة الادباء

بقلم وديـع فلسطين

تتنافر الالفاظ في عنوان هذا الفصل تنافـرا واضحا ، فكيف يكون الموت في الحياة ، بينما الموت هو آخر الحياة ومنتهاها وخاتمة جميع فصولها ؟ وهل يقال : الظلام في نور الصباح ؟ او الصحة في المرض ؟ وانما توخينا اختيار هذا العنوان ذا الاضداد لحكمة تتبين من مطالعة هـذا الفصل ، وكل مادته مستخرجة مـن معين الذاكـرة ، ويا لها من ذاكرة جد خؤون . والفصل حديث مستطرد فيه منعرجات وشعب ، ولا ينضبط بأي منهاج الا منهاج السرد وحي اللحظة والالهام .

لصديقنا الراحل طاهر الطناحي كتاب اصدره مـن سنوات مديدة عنوانه « على فراش الموت » روى فيه مـا عرفه من اخبار اللحظات الاخيرة لكبار الكتاب والمفكرين والمشتغلين بالحياة العامة . وقـد نفدت طبعته الاولى فأعاد طبعه واختار له عنوانا آخر لتشاؤمه مـن العنوان السابق ، والح علي في الا اشير الى عنوان كتابه السابق في ما ارويه من اخبار الادب حتى لا اذكره واذكر الناس بما يكره .

وفي اخريات ايام الطناحي ، اصيب بفالج بلبـل لسانه ، فنقل الى المستشفى ، وخيف عليه من وطـأة الداء ، ولكنه تغلب عليه بارادة حديدية . ولما زرته بعـد ايام ، كان يحاول الكلام فيتلعثم اللسان ولكنه لا ييأس من المحاولة ، ولا يعييه آخر الامر ان يعبر عما يريد . ولـم اجرؤ على ان اشير الـى موضوع الموت مـن قريب او بعيد ، ولكن صديقا عابث الطناحي بقوله : كيف كـان شعورك يا طاهر وانت تدق ابواب الابدية ؟ فقال بلسانـه المعوج: لا تذكرني بالموت فلا اريد ان اراه انه شيء فظيع.

وقد استطاع الطناحي ان يستقوي على المرض وان يعوود الى منزله ، وسمعت صوته فـي الهاتف يرجوني بلسانه العيي ان اعمل على ارجاء حفل كنا اعتزمنا اقامته لتأبين صديقنا الراحل الدكتور امير بقطر ريثما يسترد صحته الكاملة لانه نظم قصيدة من اربعين بيتا في هذه المناسبة ويريد ان يلقيها بنفسه (وقـد سلمني انجال الطناحي بعد وفاته نص هذه القصيدة التي الهتنا الايام وحادثاتها عن نشرها بل عن تأبين الدكتور بقطر والطناحي الذي لحق به) . بل ان يقظة الموت اغرت اخانا الطناحي بزواج جديد بعد وفاة زوجته وام اولاده . وحسب طاهر ان محنته الصحية قد انتهت ، فنهض ذات صباح مـع الفجر يؤدي فروض الصلاة ، ثم تهيأ في لباسه الكامل للذهاب الى عمله في « دار الهلال » ، فهوى دون حراك !

ومن الادباء من نعي وهو على قيد الحياة . ومن ذلك انني كنت ازور الصديق الراحل الامير مصطفى الشهابي، وكان قد عاد لتوه من حضور مؤتمر مجمع اللغة العربية، وكانت في يمينه مجموعة من ثلاثة كتب اصدرها المجمـع في مناسبة انقضاء ثلاثين سنة على انشائه . وبدأ الامير يتصفح اول الكتب وعنوانه « المجمعيون في ثلاثين عاما » فراى فيه قائمة باسماء جميع الاعضاء العاملين والمراسلين في المجمع ، ثم وقف مشدوها امام اسمه ، قائلا : لقـد نعاني زملائي وانا عائد لتوي من رفقتهم ! ولـم افهم مقصده حتى اراني الكتاب وكان اسمه فيه مقرونا بعبارة (٨٩٣ ١ ــ ١٩٦١) !! وكان طبيعيا ان يغضب الاميـر الشهابي لهذا الغلط الفريب وقال : انني مع شيخوختي العالية حريص كـل الحرص على شهود كـل دورة مـن دورات مؤتمر المجمع ، فلا اكاد اصل حتـى يستقبلني الدكتور طه حسين بالترحاب والدكتور منصور فهمـي باشا بالعناق والدكتور ابراهيم بيومي مدكور بالتحيـة الحارة . ولي في كل مؤتمر كلمة وفي كل مناقشة راي وتعليق تشهد به محاضر الجلسات . ومع ذلك يصدر عن المجمع كتاب عليه اسم الدكتور مدكـور كمؤلف ، ويعدني واضعوه من الاموات ؟ اذا كانت تلك هـي الدقة العلمية لدى المجامع اللغوية ، فكيف يطمأن الى دقة الافـراد اذا الفوا او صنفوا ؟

ولما عاتب الامير الشهابي الدكتور ابراهيم بيومـي مدكور (مؤلف الكتاب) سعى اليـه معتذرا بلباقتـه الدبلوماسية الفائقة وكياسته المتناهية ورقته المفرطـة والقى اللوم على البيروقراطية المتبقرطة وعلـى المطبعة اللعينة ! فقبل الشهابي عذره بروحـه السمحة وصدره الواسع ومد الله فيحياته عامين او ثلاثةبعد هذا الحادث .

واذكر بهذه المناسبة انه عند وفاة الامير الشهابي في ١٣ من مايو ١٩٦٨ بادر كثيرون من اهل العلم والفضل الى تعزيتي لانهم كانوا يعلمون منزلة الشهابي في نفسي ومنزلتي في قلبه . حتى السيدة الفاضلة ثريا الحافظ ابنة زوجة الامير الشهابي التي رباها بعد استشهاد ابيها على ايدي الجلادين الترك وصارت كواحدة من بناته . . . حتى هي اتصلت بي معزية في هذا الرزء ، وكأن الشهابي ابي انا وليس اباها هي بالتبني . والوحيد الذي شذ عن ذلك هو توامي الدكتور محمد رجب البيومي (واقول توامي لاننا خرجنا الى الدنيا في يوم واحد من شهر واحد وسنة واحدة) . ذلك بأن الاخ رجب – سامحه الله – كتب الي رسالة استكبرت صدورها منه وتقززت نفسي من مطالعتها لانني شممت فيها رائحة الشماتة مما يغيظ الحليم ، وكان مما قاله في رسالته انه بعيد وفاة علامة العراق صديقنا الراحل محمد رضا الشبيبي ، نظم قصيدة في هذه المناسبة ختمها بقوله: والعقبى للشهابي!

ولعل الدكتور رجب البيومي كان حانقا على المجامع والمجمعيين لانهم لما راوه يقتض الجوائز الادبية في كل سنة ويكتسح المتسابقين عاما بعد عام ، عدلوا قوانين الجوائز تعديلا يخرج البيومي من عداد الفائزين ولو الى حين . ومن ثم كان قصاراي ان اطوي النفس على احزانها ، فلا أجادل صديقا في امور هي الى الاخلاقيات اقرب منها الى الادب .

ومن الذين نعوا وهم على قيد الحياة الاستاذ احمد حسن الزيات ، عليه الرحمات . اما قصة ذلك فهي ان الكاتب الساخر محمد عفيفي كان وما زال يحرر صفحة من الكلام الذي يغلب عليه الهزل عنوانها « ابتسم من فضلك » في بعض المجلات المصورة . وكان مما قاله في احدى كلماته اننا تعلمنا الادب في مجلة « الرسالة » لاستاذنا الراحل الزيات ؛ وكان الزيات يومها ملء الحياة، وان كان ضعف بصره الهاه عن قراءة الصحف وفوت عليه فرصة تكذيب هذه الواقعة في حينها . وطرأ يومها ان اكتب الى الاستاذ عفيفي منبها الى هذا الخطأ الفليظ لان الزيات حي يرزق ، ولكنني وقد جربت مصير جميع رسائلي الى الصحف – وهو سلة المهملات المباركة – نهيت نفسي عن هذه المحاولة . وللزيات معجبون كثيرون في الحجاز ، فما قراوا عبارة عفيفي حتى امتلأت صحف السعودية بالمرثيات شعرا ونثرا ، بل ان مجلة « الجزيرة » اصدرت عددا خاصا بهذه المناسبة امتلأ بدراسات الادباء وقصائد الشعراء في الركن الذي انهد بوفاة الزيات . وكانت جميع الصحف السعودية تنصب بين يدي ، فأدهشني تورطها في مثل هذا الامر الذي لا يصح السكوت عليه . واتفق ان زارني المحرر الادبي لجريدة الاخبار ، وهو الاستاذ اسماعيل النقيب ، فرجوته التنبيه الى هذا الغلط في جريدته . ثم زارني بعده مباشرة الاستاذ محمد عبد الله السمان الذي تطوع بحمل الصحف بنفسه الى الزيات في داره فأعفاني من ان اكون رسول شؤم اليه . ففزع الزيات من هذا الامر فزعا شديدا ، وبادر بارسال برقيات تكذيب الى الصحف السعودية ، ونشر في غيرها من الصحف انه حي يرزق. ثم جلس يستمع الى من يقرأ عليه مرثيات الادباء والشعراء متلذذا بعبارات التقدير والاجلال !

وكان صديقنا البير اديب بدوره من المنعيين وهم احياء ، فقد حدث في اضطرابات عام ١٩٥٨ ان قتل في بيروت صحفي لبناني يدعى « ألبر ديب » فطيرت وكالات الانباء اسمه خالطة بينه وبين البير اديب ، واضافت الى ذلك انه صاحب مجلة « الاديب » الكبرى !

وكنت يومها شديد المتابعة لاخبار الادب في لبنان، ولاحظت غير مرة ان صديقنا ألبير اديب نبه الى اللبس الذي يحدث بينه وبين هذا الصحفي . ولهذا لم اصدق الخبر على الرغم من المرثيات التي قرأتها في صحف المهجر والصحف العربية ، وكتبت الى البير رسالة – لعلها ما زالت ضمن أضابيره – اقول فيها ما معناه انني على تمام اليقين بأنني اكتب الى رجل حي لا الى رجل ميت ، فألبير اديب فوق كل الشبهات ولا يقدم عاقل ولا مجنون على انهاء حياته .

ولما اتاني منه رد يؤكد كذب هذه الشائعة ، استنجدت بالصديقين حبيب جاماتي – يرحمه الله – واسعد حسني – مد الله في عمره – واستطعنا تصويب الخبر في الصحف المختلفة . ثم بعثت الى البير اديب بما تلقيته من مرثيات قيلت فيه ينشرها تباعا في «الاديب»!!

ومن الادباء الذين سمعوا نعيهم وهم احياء صديقنا الشاعر جورج صيدح . فقد حدث في عام ١٩٤٩ ان كان صيدح هابطا درج مصلحة البريد في بوانس ايرس متأبطا حمل بعير من المطبوعات والمراسلات ، فانزلقت قدمه واصيب بخدوش هينة حالت دون حضوره حفلة مقررة في مساء ذلك اليوم . فأول المرجعون غيابه شر تأويل ، وطار النعي برقيا الى كراكس (فنزويلا) واخذت قرينته تتلقى برقيات التعزية وزوجها قربها حي يرزق . وعندما سمع صديقنا بلسان صيدح عنوانها « بث الحنين » قال فيها :

قد نعوني ولم أمت … انا ما زلت في الحياة
لي خطو على العشي … ورف على الغداة
أزرع الورد في الدروب ولا أتقي الجناة

الى ان قال :

قلت للموت خذ ثيابي ولا تلمس الدواة
في جراحي ماء الوجود ، وفي أحرفي التواة

فجاوبه صيدح بقصيدة عنوانها « يا نعاتي » هذا نصها بعد أن اجرى عليه قلمه الاحمر بالتهذيب والتشذيب والتنقيح والتجميل :

من مجيري من النعاة … رسل الموت في الحياة

سابقوا ربهم على — أجل في الكتاب آت
موعد فيه يستوي — ذو لجاج بذي أناة
يا لها من رواية — شوهها حاق بالرواة
سيروها وطيروها — شعاعا الى الجهات
والردى سائر الى — حيث لا يشتهي الحداة
من يريني رفاتهم ؟ — لا أراني لهم رفات
أنا في الارض روضة — حسدتها الارض الموات
ان نعوها الى الرب — كذبت بالجنى الجناة
لطف الله بالشذى — سلم الزهر والنبات
قسما بالذي قضى — بسقوطي وبالنجاة
لم يرعني بوقعه — نبأ روع العقاة
يا نعاتي ، مرادكم — عز ، مهلا الى الفداة
صلة بيننا الحياة — فلم تقطع الصلات
غركم انني فتى — أطمع الضأن بالرعاة
يا نعاتي ، أخذتم — لي ثارا من الحياة
ان مجدي رهينة — لا يفيها سوى الممات
جرعة الموت فرجت — غصة الحق في اللهاة
فجرى اللين في القساة — وسرى العدل في الطغاة
يا نعاتي ، أنصفتموني ، — وجرتم على العداة
كم وجيع اذا شكا — قطعت مهجتي الشكاة
وشجي حنينه — حنة الشعر والصلاة
ووفي دموعه — شوقتني الى الوفاة
عظم الله أجرهم — ووقاهم اذى النعاة

اما صديقنا الشاعر محمد مصطفى الماحي ، فقد اختصر عمره « المفتش المراجع » بيقظته وعينه الساهرة!

ذلك بأن هناك كتابا للنصوص الادبية مقررا على طلاب المدارس ، فيه مختارات من الشعر والنثر لشعراء مختلفين منهم الماحي . وقد حرص واضعو الكتاب ومصنفوه ومحققوه وشارحوه ومراجعوه على ان يثبتوا لكل قصيدة هامشا فيه سطران عن حياة الاديب وكتبه ومنزلته الادبية . وظل كتاب النصوص يطبع سنة بعد سنة بملايين من النسخ وفاء بحاجة الطلاب في البلاد العربية المختلفة ، دون ان ينال طبعاته تغيير الا من حبث الموضوعات التي تتقادم بانتفاء مناسباتها او بذهاب « موضتها » . وظل الماحي يمثل صفحته الاثيرة من الكتاب دون ان يناله سوء في الطبعات المتتالية ، الى ان عهد الى مفتش مراجع يقظ في ان يراجع كتاب النصوص ليستوثق من ان مادته تطابق المواصفات من جميع الجوانب ولكي يستدرك أي ثغرة في الكتاب . ووقف المفتش المراجع عند صفحة الماحي ، فاستهول ان يقرأ في ترجمة حياة الشاعر عبارة (١٨٩٥ —) ومن مؤداها ان الشاعر قد بلغ الآن الخامسة والسبعين من العمر ، وهو امر مستبعد ! فبادر المفتش المراجع الى تصحيح هذا الهامش قائلا ان الشاعر ولد في عام ١٨٩٥ ثم توفي عن ديوان شعر !

وكان اول من تنبه الى هذا الخطأ حفيد الشاعر الماحي وهو من الطلاب الذين يدرسون كتاب «النصوص» ضمن مقرراتهم! وسرعان ما تنبه اصدقاء الماحي الكثيرون الى هذا الخطأ في طبعة النصوص التي صارت ملايين من نسخها في ايدي الطلاب من الخليج الى المحيط ! وبادروا بالاتصال بجهات الاختصاص لتصويب هذا الخطأ . ولكن المفتش المراجع اصر على انه على صواب وان السادة المستدركين على خطأ . ولم يعدل عن رايه الا بعدما راى بأم العينين صديقنا الماحي (بلحمه وشحمه) وتحقق من شخصيته وراجع هويته ، وعندئذ ، وعندئذ فقط ، بعث بمنشور دوري الى المدارس وامناء المخازن ينبه فيه بضرورة تصحيح هذه العبارة لانه قد ثبت ان الشاعر الماحي ما زال على قيد الحياة !

والشاعر محمود ابو الوفا سمع منعاته وقراها غير مرة! بل انه نعى نفسه في قصيدة مشهورة قال في مطلعها:

في ذمة الله نفس ذات آمال — وفي سبيل العلا هذا الدم الغالي

وفيها أشتد بالتعنيف على والديه لانهما انجباه للبؤس فقال :

أبي وفي النار مثوى كل والدة — ووالد أنجبا للبؤس امثالي
ما كان ضرك لو من غير صاحبة — قضيت عمرك شأن الزاهد السالي

ولعل من اسباب توهم الادباء أن الشاعر محمود ابا الوفا قد فارق الدنيا ، ذلك الخلط الناشيء بينه وبين شاعر آخر هو المرحوم محمود رمزي نظيم الذي كان يكني نفسه « بأبي الوفا » وكان يوقع جميع شعره ونشره بامضاء « محمود رمزي نظيم — أبو الوفا » . وقد عرفت محمود رمزي نظيم في دار « البلاغ » على عهد صاحبها الراحل عبد القادر حمزة باشا ، فابتدرني طالبا رؤية شعراي ، ثم اخذ يقرا كفي قراءة خبير فقيه . وهو شاعر وزجال من طبقة عالية ، وهو شديد المرح حلو الفكاهة ، وكنت اصادفه كثيرا في المراح والمغدى في حافلات الاوتوبيس لانه كان يسكن حي « منيل الروضة » وكنت اجتاز هذا الحي الى ضاحية الاهرام . وقد اضطلع استاذنا الشاعر الكبير علي الجندي العميد الاسبق لكلية دار العلوم بطبع ديوانه « الرمزيات » بالاشتراك مع زميلنا السابق محمد علي ابي طالب ، ثم ترجم لسيرته ترجمة واسعة في كتاب مستقل .

وما زال الناس يخلطون بين محمود ابي الوفا الشاعر الذي غنى له محمد عبد الوهاب اغنية « عندما يأتي المساء » وبين الشاعر الراحل محمود رمزي نظيم المكني بأبي الوفا . ولم ينج من هذا الخلط حتى صديقنا البدوي الملثم يعقوب العودات .

ويسوقني حديث الموت والحياة الى شيء من الاعتراف . فقد كنت في عام ١٩٥١ احرر في جريدة « المقطم » لصاحبها العلامة الدكتور فارس نمر باشا . وفي اواسط دسمبر من تلك السنة استدعاني الدكتور نمر الى رؤيته وهو في فراش مرضه ، واخذ يحدثني عن ذكرياته ويمحضني نصائحه وهي نصائح رجل نيف على التسعين واجمع الاطباء على ان عمره الباقي ايام قليلة .

واجلسني الدكتور نمر بالقرب منه ، واخذ يتحدث بكامل وعيه ويقظته اكثر من ساعة انصرفت بعدها وبي شعور بان هذا هو اللقاء الاخير معه ، وكان في حديثه يكرر عبارة « انا مول » ، « انا ذاهب » ، « انا ماض » . وفي صباح اليوم التالي عرفت من كريمة الدكتور نمر ، وهي زوجة جورج انطونيوس صاحب كتاب « يقظة العرب » المشهور ، ان والدها ذهب في غيبوبة بمجرد انصرافي ، وان وفاته صارت متوقعة في كل لحظة . وكان طبيعيا ان تتأهب جريدته لاستقبال هذه المناسبة الحزينة بما يليق بمنزلة منشئها لا سيما وهو رجل مرموق المكانة في الحياة العلمية والعامة . ومن ثم الح علي زملائي في الجريدة ان اكتب رثاء للدكتور نمر ، واتبعه بترجمة حياته تهيؤا لاستقبال ما لا مفر من وقوعه . وفعلا اعددت فصلا ضافيا عنه نضدت حروفه وبقيت في المطبعة تنتظر يومين كاملين . فلما فاضت روح نمر باشا بعد الغيبوبة العميقة ، خرجت الجريدة مجللة بالسواد ، تحمل في صدارتها هذا الفصل ، وهو الفصل الذي اعتمدته الدكتورة بنت الشاطيء (محررة باب الوفيات يومئذ في جريدة « الاهرام ») عند رثائها للدكتور نمر ، كما اعتمده صديقنا الراحل سامي (سبيرو) جسري عند رثائه لنمر باشا في « المقتطف » . وقد اعيد نشر هذا الفصل في « الاديب » في فبراير ١٩٥٢ ان لم تخني الذاكرة .

ويفضي بنا حديث الموت في حياة الادباء الى ما كان من امر الشاعر الراحل الدكتور عزيز فهمي الذي كان يجمع في شخصيته متناقضات غريبة . فهو من اسرة مترفة ، وكان أبوه عبد السلام فهمي جمعة باشا رئيسا لمجلس النواب لسنوات طويلة ، ولكنه كان يعيش في رفقة الصعاليك ورواد مقاهي الفن . وكان شاعرا موهوبا شهد بشاعريته الدكتور طه حسين حين قدم لديوانه ، ولكنه كان منصرفا عن الشعر ببوهيميته الغريبة . وكان حزبه السياسي محافظا ، ولكنه كان من المنافحين عن الحريات بصوت مدو حتى صار من المطاردين .

وكان الدكتور عزيز فهمي محاميا . وذات يوم وكل في دعوى في الريف ، وكان عليه ان يستيقظ مبكرا ليلحق بأول قطار ويتسنى له حضور الجلسة في موعدها المحدد . ولكن اعتياده السهر فوت عليه القطار في آخر لحظة ، فركب سيارة اجرة وامر سائقها بأن يسرع بأقصى سرعة للحاق بالقطار في المحطة التالية ، فأفلت منه القطار بثوان . وعندئذ امر السائق بأن ينطلق كالصاروخ ليلحق بالقطار في المحطة التي بعدها . وكانت سيارة الاجرة تسلك طريقا زراعية محاذية لمجرى مائي امتلأ بماء الفيضان ، وفي لحظة ضعف تعذر على السائق السيطرة على السيارة فانقلبت في القناة وغرق الدكتور عزيز فهمي .

وطلع علينا صديقه وراوي شعره عبد الرحمن الخميسي بكلمة رثاء ، كان مما قاله فيها ان عزيز فهمي تنبأ بموته ووصفه ادق وصف في قصيدة له عنوانها « قاريء الكف » قال في مطلعها :

يا قاريء الكف ماذا خبأ القدر ... وما عليك اذا لم يصدق الخبر

وبعدما عدد عزيز فهمي أسباب المنايا المحتملة ، قال عن سبب آخر :

او ان في مسبح الحيتان منقلبي ... يوم الرحيل اذا ناداني القدر

وها هو قد انقلب في مسبح الحيتان عندما آذن يومه برحيل .

وقد اصبحنا في زمان يموت فيه الاديب فلا يسمع احد خبره الا عرضا كما حدثنا الصديق الدكتور احمد الشرباصي وهو يصور الدكتور محمد العلائي الذي زاملني بعض الوقت في الدراسة الجامعية . وقد ألفت ان اتلقى رسائل من باحثين يسألونني عن ادباء معاصرين وهل هم على قيد الحياة او انتقلوا الى الرفيق الاعلى . فالعلامة يوسف اسعد داغر سألني عن عزيز خانكي وسامي الجريديني وهل هما باقيان على قيد الحياة او لا . كما سألني المرحوم الدكتور احمد زكي ابو شادي عن حبيب عوض الفيومي ، وكان اديبا مكينا غابت اخباره في خضم الريف ، وكان ابو شادي يشتغل يومذاك باعداد كتاب عن الادباء الاقباط نشر فصولا منه في « الهدى» النيويوركية ولم يستكمل هذه الفصول . وكان آخر السائلين الدكتور عدنان الخطيب الذي استفسر مني عن اخبار الخطاط نجيب هواويني وآثاره . وكنت اتحرى أخبار هؤلاء وامثالهم اما بالرجوع الى اوراقي الخاصة ، واما بالبحث في الصحف القديمة ، واما بالاتصال بأفراد عائلاتهم واما بزيارة المقابر لنقل التواريخ المدونة على الاضرحة!

فاذا كان المعاصرون من الادباء نخلط في تواريخ وفياتهم وننعاهم وهم احياء ، كما تقدم في هذا الكلام المستطرد ، فكيف يطمئن الباحث الى ما سجله المسجلون من تواريخ وفاة السابقين من رجال الادب والفكر والعلم ؟ فالناس في حياتها اليومية تتلهى بمشاغل الساعة ، وتصرفها أحداث السياسة عن الاهتمام بالادباء واخبارهم وسيرهم ، حتى ان الشاعر شوقي عندما رثى مصطفى لطفي المنفلوطي المتوفي يوم قيام ثورة سنة ١٩١٩ في غفلة من اعين الصحف ورواة الاخبار ، سجل هذه الظاهرة في مطلع قصيدته فقال :

اخترت يوم الهول يوم وداع ... ونعال في عصف الرياح الناعي !

وكان الاديب المترجم الكبير عباس حافظ قد كتب مقالا في مجلة « الرسالة الجديدة » جعل عنوانه « نحن الادباء نموت فطيس » فلا يدري بموتنا احد ولا يرثينا احد . وبعد اقل من شهرين مات عباس حافظ «فطيس» ولم يرثه الا يوسف السباعي ، وبينهما مصاهرة !

وبعد ، معذرة للقارئين عن الاستطراد في هذا الحديث المقبض . فان قيل ان لاهل النثر شياطين كأهل الشعر ، فلعل اكبر اللوم في تسطير هذا الحديث يقع على تلك الشياطين « الملاعين » !! .

طرابلس — ليبيا ... وديع فلسطين

الحداد

كاد الحديد لغصة يتنهد   من موقد نيرانه لا تخمد
وتجهمت قسماته مربدة   دون اللظى وتوردت تتوعد
وشكا بشاهد حاله عن شجوه   فأصاب غاية ما يروم ويقصد
أوليس في صمت الشجي شواهد   من دونها يعيا البيان ويفسد
قد يبلغ الصمت العميق على الجوى   ما ليس يبلغ من فؤاد منشد

بسط الحديد يد الذليل الى اللظى   من رهبة وكأنه يتودد
وتراه للحداد أسلس طائعا   بزمامه وهو الحرون الانكد
ما كان بدعا ان تهالك صاغرا   دون اللهيب وما يفيد تمرد

راحت يد الحداد دون تبرم   تسعى مع العمر المرير وتجهد
تستوقد النيران وهي على المدى   تشقى بما توري وما تتقلد
تهوي على زبر الحديد بمطرق   فيحل من زبر الحديد معقد
لانت طرائقها وشف جليلها   دون اللظى وتعطفت تتأود
زبر على السندان جلجل صوتها   مما ألم بها وضج يعربد
وتئن صارخة ولم تغفر فما   تحت المطارق من أسى يتجدد
هتفت كما هتف الشجي على الجوى   والنار في احشائه تتوقد
لو أعطيت حر الكلام لاعربت   بلسان صدق معرب لا يجحد

وكأنما السندان في اطرافه   دنف ألح عليه داء مجهد
ركزت قوائمه على شعف الثرى   فأقام لا يشكو ولا يتمرد
ألف الوقوف على الثرى وكأنه   وهو الصحيح من الزمانة مقعد
وازاءه الحداد هب مشمرا   عن ساعد ليست بعبء تجهد
تهوي على السندان كالقدر الذي   تهوي جوائحه ولا تترد
فيلين صلد دونها وكأنه   غصن تعابثه النسائم أملد
خضدت من الفولاذ عود شماسه   فانقاد صعب شامس لا يخضد
وهوى يرفرف خانعا بجناحه   كذبيحة بيد الاذى تستشهد

عجبي لحداد أطال وقوفه   دون اللظى مستعطيا يسترفد
ما انفك يثقف ناقدا بيمينه   زبر الحديد كما الصيارف تنقد
والنار تلفح وجهه بجوائح   مسمومة كالسوط ساعة يجلد
حمم تصعد دونه من موقد   وبقلبه حمم الجوى تتصعد

دمشق   عدنان مردم بك



محمد سليم رشدان

في مسالك الدروب

بقلم محمد سليم رشدان
المحاضر في كلية الآداب بالجامعة الاردنية
ورئيس تحرير مجلة « رسالة المعلم »

* * *

تاريخ لا ينسى

يوم كانت بلادنا ما تزال في بداية الطريق .. ويوم كانت تسير الهوينا في خطوات كليلة ، وهي تتعثر خلالها مثل من يسير على عكاز ، وقد ترابطت انحاؤها في مسالك غير معبدة ، وقامت فيها مدرسة ثانوية واحدة ، يتوافد اليها طلاب المعرفة من مختلف ارجائها بين قريب وبعيد . ولم يتوفر فيها من الخدمات العامة غير النزر اليسير في ابسط اشكاله وايسر احواله .

يوم ذاك .. كان الذين يتولون زمام الامور فيه قبضة من ابنائه وقبضة يسيرة .. ضئيلة تحصي افرادها فلا تخطئهم عدا ، وقد وكل اليهم من المسؤوليات الجسام فيه ، ما تعجز عن حمله الكثرة الوفيرة ، وما يضيق به ذرعا ذوو الحول والطول ، الذين يجدون بين ايديهم من المدد ما لا ينضب له معين .

وتحتم على هؤلاء الذين وضعت في ايديهم المقاليد ان يصنعوا تاريخ هذا البلد ، وان يبدأوا الطريق من اوله ، يواجههم فيه من المصاعب ما لا حصر له وتعترضهم العقبات التي فرض عليهم اجتيازها ، وما في حوزتهم من اجل ذلك حيلة ولا وسيلة .

وسارت القافلة في مشيها الوئيد تتجه نحو الغاية البعيدة ، وكلما وصلت هدفا تطلعت الى هدف آخر من ورائه ، دون ان يجهدها بعد المدى ودون ان يقعدها عناء السير المتلاحق الذي كان لا بد من متابعته ، ولا مهرب من الاصرار عليه ، ما دام اولئك المجاهدون المستبسلون يصرون على ان يحققوا فيه ما يشبه المعجزة ، وقد فعلوا .. ومضى بهمتهم بلدنا الصغير في مسيرة الحياة ، يجاري سواه من الاقطار المتطورة ، وهي تمضي صعدا في معارج النهضة والازدهار .

ولما كانت لكل بداية نهاية .. ولما كانت سنة الحياة تقضي بان تطوي صحائف الاحياء ، لذا فقد جعل هؤلاء الرواد يتلاحقون الى نهايتهم ، ويغيبون عنا واحدا تلو اخيه ، فمضى مع الخالدين منهم عدد عديد ، فيهم من العلماء ورجال التربية : الشيخ محمد صالح مريش ، والشيخ عبد الحليم زيد ، واديب وهبة ، وجريس القسوس ، وعيد قاقيش ، والاب بولس سلمان .. وغيرهم .

وفيهم من الوزراء ورجال السياسة : الدكتور مصطفى خليفة ، ونجيب ابو الشعر ، وعبد الله الشريدة ، وعبد الحليم النمر ، ومصطفى وهبة ، ومحمد المحيسن ، وعلي خلقي .. وغيرهم .

وفيهم من الحكام والاداريين : صالح التل ، وعودة القسوس ، وخلف التل ، وذوقان الحسين ، ومحمد الظاهر ، ورفعت الصليبي ، وشاهر المحيسن .. وغيرهم .. وغيرهم ..

وان معظم هؤلاء الرجال الاعلام ادوا رسالتهم حتى نهايتها ، وادركتهم المنية بعد ان خلدوا الى شيخوختهم فمضوا مشكورين محمودين ..

ولقد ذكرني بهم واحد من رفاقهم ، لحق بهم منذ ايام بعد ان ادى رسالته ـ مثلهم ـ نائبا ووزيرا ، واسهم كما اسهموا في بناء بلده ، وشارك معهم في صنع تاريخه ، واقصد بذلك السيد قاسم الهنداوي ، الذي تبع ذلك الركب الماجد ، ومضى يشاطرهم سدة الخلود هناك .

اولئك هم النفر الطيب من الرواد في بلدنا الصغير الناهض ، الذين صنعوا حاضر الاردن ، ووصلوا به الى المرحلة التي جعلوه معها يؤدي رسالته نحو فلسطين ، يوم نزلت به النازلة ، على النحو الكريم الذي يؤدي به المرء جهد طاقته ، وكامل ما تصل اليه قدرته ، وينتهي عنده مداه .

للغد المشرق

هذا الجيل الذي بين ايدينا .. انهم طلائع المستقبل ،

الذين يبداون الطريق الى الغاية البعيدة ، ويسيرون في مقدمة الذين يتجهون نحوها ، ويذللون المصاعب التي ما فتئت تعترض الطريق اليها ، منذ وقف اولئك الشهداء الابرار ، في ساحة الشهداء في بيروت ، وفي ساحة المرجة في دمشق ، وفي الساحات العامة في بغداد ، وبيت المقدس ، وغزة ، والطائف وصنعاء ، وسواها .. وهم يرددون قبل ان يرتقوا ارجوحة الابطال بملء افواههم :

بلاد العرب اوطاني	من الشام لبغدان
ومن نجد .. الى يمن	الى مصر .. فتطوان
فلا حد .. يباعدنا	ولا دين .. يفرقنا
لسان الضاد يجمعنا	بغسان .. وعدنان

ولا بد من ان يتنبه ابناء جيلنا الصاعد عندها ... الى ان بلوغ هذه الغاية ضرورة لا بد منها ، وذلك اذا ما ارادوا ان يقام لهم وزن راجح ، حين توضع اقدار الناس في الموازين ، واذا ما ارادوا أن تكون لهم في وطنهم العزة والمنعة ، ليخشى ذوو المطامع جانبهم ، فيتجنبوا التطاول عليهم ، والعبث بمصالحهم .

ولا بد من ان يتنبهوا كذلك .. الى ان امتهم الماجدة حين صنعت تاريخها المشرق كانت تحذر اشد الحذر ان يحمل ابناؤها الذل او ان يستكينوا له ، لانها علمت علم اليقين ان قبولهم ذلك سوف يكون مؤذنا بزوال تلك الامجاد .. وقد ذل العرب حين تكالب عليهم المستعمرون من كل جانب ، ووقع لهم ما كان يحذره اسلافهم .

فلا بد ـ اذن ـ للجيل الصاعد من ان ينحي عن العرب ثوب الذل ، ويلبسهم بدلا منه ثوب العزة والمهابة ، وذلك باجتماع الكلمة ، وتوحيد الصف ، وحشد الطاقات والثروات والامكانات كلها لصالح الجماعة متكاتفة متساندة .

وعند ذلك فقط .. سوف يعيدون لامتهم سالف عزتها وسابق امجادها ، فيبسطون اكفهم القوية القادرة ، الى اولئك الذين تجمعهم واياهم اخوة اللغة واخوة التاريخ ، او اخوة الدين والمصالح المشتركة ، فاذا هم يزدادون بهم بأسا ، واذا هم يستظهرون بهم فيزيدونهم منعة ، فيصبحون جميعا قوة لا تضاهى ، ولا يماثلها غيرها في البسطة والعدة والعدد .

ذلك هو الهدف البعيد .. الذي يجب ان يتطلع اليه جيلنا الصاعد ، وهو يستعد لتحمل الاعباء الكبيرة ، التي سوف تلقى عليه ، في سائر انحاء وطننا العربي الكبير ، وفي مختلف اقطاره قريبها وبعيدها .

وان الواجب المحتوم يملي عليه ان يفعل ذلك ، لان العالم من حوله يموج بالاحداث ، وهي كفيلة بان توقظ النائمين ، وان تبصرهم بما يحيط بهم من اخطار مهما كان نومهم عميقا ، ومهما بلغت بهم الغفلة ، ومهما تناءى بهم الضياع والتخلف .

ثم ان الواجب المحتوم يملي عليهم كذلك ، ان يثبتوا وجودهم في دنيا الاحياء ومثل هذا الوجود لا يثبته غير القوة والمنعة ، والصف الواحد الذي لا تمزقه الاهواء ..

الطريق الواضح

في ليلة مطلع العام الجديد.. كان بين يدي كتاب يتحدث عن افريقيا عنوانه « افريقيا الخضراء » ، وكنت ادفع به الملل الذي احاط بي بعد ان استمعت الى الاخبار وكانت في مجملها لا تسر احدا ..

ومضيت في الكتاب اتصفحه على غير هدى ، ثم رايتني اقف عند موضع طريف ، كان يتحدث فيه المؤلف عن حياة الغابات ، ويصف خلاله صوار البقر الوحشي ، وهو يمضي قطعانا متقاربة ، فاذا ما تعرض لها وحش كاسر ، تحلقت من حوله ، وجعلت تضيق عليه الخناق ، حتى تجعله في متناول قرونها ، فما تزال تطعنه بها مجتمعة ، حتى تخمد انفاسه وتقضي عليه ..

يا سبحان الله ما اعجب خلقه .. !! حتى جماعة البقر الوحشي لا يغيب عنها منطق الحياة الصحيح ، الذي يفرض على المتفرقين ان يجتمعوا في صف واحد ، ليكونوا بهذا الصف قوة تغلب الاقوياء ..

اما نحن يا اخي القارىء .. نحن في عالمنا العربي .. عالم المئة مليون ، فاننا لم نهتد الى هذا المنطق ، ولم نعرف الطريق اليه بعد ، بل لعلنا لم نحاول ان نعرف هذا الطريق محاولة فعالة ذات جدوى ، ثم تعجب اشد العجب حين تسمع احاديث الشعوب العربية وهتافاتها ، المختلفة ، في اقطارها المتعددة ، فاذا هي جميعا تدعو الى الوحدة ، وتطالب بانجازها ، وتلح اشد الالحاح في هذه المطالبة ..

وليس ذلك فقط .. بل حين تسمع احاديث المسؤولين في هذه الاقطار المتعددة ، فاذا هي كلها تدعو الى وحدة الامة ، والى جمع الكلمة ، والى انتظام الصفوف المتفرقة في صف واحد ، لتقابل العدوان الذي تتعرض له صباح مساء ، بانتقام اشد واعنف ..

وتقف مشدوها ذاهلا حيال ذلك .. وانت فاغر الفم دهشة واستغرابا وتعجبا ، وتسأل نفسك بعدها . وما لهذه الوحدة لا تتحقق اذن ؟ ما لها لا تنتظم فورا لتصبح معها الصفوف الهزيلة الضئيلة المتخاذلة المغلوبة ، صفا واحدا قويا ، لا يجرأ المعتدي على اقتحامه وتخطيه والتغلب عليه ؟

ومن الذي يحول دون هذه الوحدة يا ترى ، ما دام كل مسؤول عربي يدعو اليها ، وما دام كل شعب عربي ـ ومن الدار البيضاء الى صنعاء ـ يلح بطلبها ، ويجأر بهذا الطلب في الاجتماعات والمظاهرات ، حتى

لبنان

★

لبنان أبعث بالاشواق تحنانا ... اليك ممزوجة حبا وريحانا
اذ انت لي وطن ، بوركت من وطن ، ... اهديك من خاطري روحا ووجدانا
ومن تباريح قلبي قد نسجت هوى ... لما تعشقت بيروتا ولبنانا
أبث من خلجات القلب خاطرة ... حرى اطرزها نورا ونيرانا
لكل اهليك بل للوافدين الى ... سهولك الخضر ، نيشانا وتيجانا
لي في ربوعك ذكرى كلها ارج ... كالمسك تعبق انغاما والحانا
يا موطن البسمة السمحاء، ما فتئت ... نفسي تذوب بربع كان اضنانا
اعلل النفس بالآهات اكتمها ، ... علي ابدد احزانا واشجانا
عبأت كل قوى نفسي ومقدرتي ... لكي أزورك يا لبنان احيانا
يهزني الشوق للقيا وان بعدت ... دنيا المسافات أقلاعا وايذانا
لبنان يا جنة الدنيا وزينتها ... وموطن الي انت الحب مذ كانا
فالعيش عندي اصفى من صفاء سني ... عند اللقاء وعشبي صار بستانا
ان يذكر الجود كنت الجود، منذ وجدت ... ارض الخليقة لما زلت عنوانا
افديك ما ملكت نفسي وما حملت ... مني اليدان وما قد نلته الآنا
فانك البيرق السامي على قمم ... من الجبال تضيء الافق نيرانا
لو استطعت بقيت العمر في كهف ... من ارض لبنان جذلانا ونشوانا
قد كان اشفق من اهلي ومن بلدي ... عند الملمات حتى كان ما كانا

بغداد — صبيحة منير المدرس

لتوشك ان تتمزق منه الحناجر ؟

ان عدونا يقول على رؤوس الاشهاد : لقد تغلبنا على العرب لانهم صفوف متفرقة ونحن صف واحد ، والعرب جميعا يعلمون هذا ، ويلمسون أثره وقلوبهم تتفطر اسى ، ورغم ذلك كله فنحن ما نزال نقف عند حدود الكلام خلف المذياع ، الكلام الذي لا تصاحبه خطوة ـ ولو خطوة فقط ـ نحو الوحدة ..

ان الوحدة التي نسمع عنها اليوم هي : الوحدة القومية بين فئات الشعب الواحد ، احيانا بين الشمال والجنوب .. واحيانا بين المذاهب المختلفة ، واحيانا بين الكتل والفئات الى آخر ذلك ..

تلك هي الوحدة التي نسمع عنها اليوم .. وترتفع الدعوة لها .. !!

اما وحدة الامة الواحدة بسائر مذاهبها الدينية والسياسية ، بسائر اقطارها التي تفصل بينها حدود وهمية صنعها الاستعمار لخدمة مآربه الخبيثة .. اما هذه الوحدة التي يسوغ قيامها تاريخ واحد مشترك ، ولغة واحدة ، واعراف واحدة ، ومصالح مشتركة .. اما هذه الوحدة فاننا لا نسمع عنها شيئا ، رغم وجود العدو الذي يهدد هذه الامة ـ هو ومن يسانده ـ بالزوال والدمار ..

ترى .. الى متى نظل في هذه المتاهة نهيم فيها على غير هدى ، والطريق بين ايدينا واضح لا يخفى على ذي عينين ..؟ ترى .. الى متى ..؟

عمان ـ الاردن — محمد سليم رشدان

قصة

نهاية كل شيء

بقلم السيد ابراهيم

نهاية غريبة .. ولكن كيف حدث ذلك .. لماذا وصلت الامور الى هذا الحد من الذي هزم الاخر .. بل من المهزوم ومن المنتصر ؟. لعبة غريبة .. هل هي ضربة حظ .. ام سخرية اقدار .. أم اسطورة تحولت الى واقع ؟!

اسئلة قفزت الى ذهني وانا استمع الى مصير المعركة التي احتدمت لفترة طويلة ، والتي اصبحت الشغل الشاغل لمعظم المطلعين على بواطن الامور في الشركة .. فجأة ثار البركان الخامد .. فجأة سمع الناس في جميع اقسام الشركة ان الاستاذ رمزي وكيل الشركة يطالب بحقه في الادارة والاشراف والمكافآت والاعتمادات ، وان الاستاذ كرم المدير الذي يسيطر على كل شيء قد اذهله الطلب المفاجيء .. فقد اخذ على غرة .. لم يكن يعتقد انه سيأتي اليوم الذي سوف يطالبه فيه الاستاذ رمزي بحقوقه.. فقد نسيها هو تماما ولكثرة ما تناساها اصبح لا يعترف بها وهذا ما سبب له ارتباكا وذهولا في بداية الامر ، ثم سرعان ما سيطر على اعصابه ..

وبهدوء شديد وادب اشد ومن خلال شفتين زرقاوين خرجت الكلمات في نغم ممطوط .. وبصوت هاديء اثار في نفس الاستاذ رمزي الما لا يطاق ، فهو يعرف ان برود الاستاذ كرم يقصد الاستاذ (كركر) المدير العام كما يحب ان يدعوه وكما يدعوه الاولاد في اجتماعاتهم واحاديثهم الضاحكة ... البرود السكسوني الرهيب الذي تعلمه بل يكاد يجزم بانه رضعه من ثدي امه ... رجل بارد هاديء لا يثيره اي شيء .. واذا فقد اتزانه ولو للحظة واحدة ، فسرعان ما يعود اشد برودا واكثر حذرا والتوا من البداية .

كان يخافه ويخشاه .. نجح الاستاذ (كركر) في السيطرة على الشركة ونجح بالتالي في انكار دوره كوكيل له ... ما من سر من اسرار العمل يعرفه .. هل ينسى يوم ان استدعاه وكيل الوزارة لمناقشته في موضوع هام من اختصاص شركته .. ساعتها شعر بالعرق البارد يبلل جسده كله .. اصفر وارتعش .. واطرق خجلا ثم قال لوكيل الوزارة ...

ـ آسف يا بيه .. الموضوع عند الاستاذ (كركر) .

وتساءل وكيل الوزارة في دهشة وهو يقول : الاستاذ مين ؟!

وسرعان ما وجد نفسه يقول :

ـ اصدي الاستاذ كرم .. المدير بتاعنا .

وابتسم وكيل الوزارة في سخرية فقد فهم كل شيء بل انه يعرف يقينا ان الاستاذ (كركر) لا يبوح بسر عمله لاي انسان حتى ولو كان وكيله .. لا يأتمن الا شخصا واحدا هو ذاته .. اما الآخرون فهم ادوات فقط لتنفيذ اغراضه .. وتذكر الاستاذ رمزي وهو مطرق والافكار تطحنه الاجتماعات الديمقراطية التي كان يعقدها مع الزملاء وقوله وعيونه تلتمع خبثا ودهاء ..

ـ انا جمعتكم النهار ده علشان نتناقش في امور الشركة .. دي روح ديمقراطية لازم كلنا نحس اننا (تيم) واحد .. هدفنا العمل .. العمل فقط .. علشان الشركة تنجح ودورها يبقى بارز .. على فكرة الكلام دا انا بانفذه حرفيا .. باعلمكم الادارة .. باعلمكم القيادة .. ايوه اتعلموا .. لازم كل واحد يعبر عن رايه .. يقول .. يقترح .. اي اقتراح مفيد حانفذه فورا..

ويقترح الاولاد .. يقصد الزملاء، ولكن الاقتراحات كلها تسفه .. تسقط .. ترفض .. تسجل في محاضر الجلسات كأنها نفايات تافهة ولا ينفذ الا ما يريده وما يقرره .. بل ما هو مقرر أصلا .. ويكتشف الزملاء اعضاء الادارة ان تلك الاجتماعات صورة مزيفة لديمقراطية خيالية ليس لها وجود الا في راس المدير الدكتاتور ، وبالطبع تتعارض الديمقراطية مع افكار وآمال وتطلعات الدكتاتور وكان موقفه كوكيل موقفا لا يحسد عليه .. كان اعضاء الادارة ينتظرون منه رأيا .. كلمة تشيع .. وقفة في سبيل الحق ولكنه كان لا يستطيع .. كان الرجل يشل حركته .. حتى بضحكته المصطنعة .. بابتسامته الصفراء .. بوجهه الاسود .. بعيونه الضعيفة التي تغطيها نظارة ذات زجاج ابيض لم ينجح في اخفاء الدهاء الذي يحرك الاهداب والعيون الزجاجية الى اعمق الاعماق الماثلة امام المدير .

من اين تعلم ذلك الرجل اسلوبه في الحياة .. كان لا يريد انسانا على وفاق مع انسان آخر .. كل ما يهمه ان تشتعل الشركة نارا وان يشجع الزميل على كتابة شكوى .. بل ويصر على ان تكون شكوى كتابية حتى تكون مستندا له ضد الشاكي والمشكو في حقه وحتى لا ينجح اي فرد في التملص من قبضته .. (اسلوب ميكيافللي) ملتو .. فرق تسد .. ويضحك

ضحكته الناعمة الشوهاء ، ثم يقول بصوته الاجش : الشغل شغل يا استاذ رمـزي .. لازم تكون حازم .

اسلوب غريب في الادارة .. الالتواء طابعه والشر وسيلته .. اذا وجد جماعة من الزملاء تدخل بينهم حتى ينفض ذلك الاجتماع .. اذا وجد اتفاقا لم يذق طعم الراحة الا وهو انتقاض .

هل ينسى يوم ان دس بين زميلين وحرضهما على بعضهما ثم استشاره وعندما وقف في صف الحق ارتعب صاحبنا .. ربما لاول مرة لان حقيقته ستنكشف ، ولكي يداري الموقف عمل على نقلهما بسرعة حتى لا ينكشف امام الادارة .. رائحته فاحت ولكن لكل شيء نهاية .. منذ ان انكشف موقفه امام وكيل الوزارة وهو يحاول ان يعود الى هدوئه السابق ولكنه لم يستطع .

لكل شيء نهاية ولكن النهاية التي فرقعت اليوم كانت نهاية غريبة رغم انها تأخرت كثيرا .. لاول مرة يقف موقفا صلبا .. يطالب بحقه .. بنصيبه في العمل بتقسيم وظيفي .. لاول مرة يحس انه اصبح موجودا وان له كيانا وانه انسان .. والغريب ان تلك الوقفة لم تأت فجأة كما يعتقد معظم الناس .. ابدا ..

حتى اول امس كان قد قرر ان يترك له الشركة ولكن الاولاد ، يقصد الزملاء ، الذين يحبونه لطيبته لم يعجبهم منه ذلك الموقف الضعيف .. تكالبوا عليه .. وقفوا امامه وقفة خالدة .. حاولوا ان يثنوه عن تقديم طلب النقل .. قدمه .. ولكن الاولاد كتبوا يتمسكون به وقد كان .. ونجحت الادارة العامة في وقف طلب النقل .. كان عذابا ولكنه الآن أصبح مطالبا بأن يثبت وجوده .. لقد اثبت الاولاد وجودهم على الاقل تمسكوا به وكتبوا في ذلك للمدير العام ونجحوا في محاولاتهم .. لم يخشوا العدو ... لم يخشوا المدير .. قد يصيبهم ضرر بسبب تلك الحركة .. مقالب مثلا .. تقارير .. اشياء كثيرة برع فيها صاحبنا ولكنهم وقفوا ضد الضعف .

نعم انا ضعيف .. المدة الماضية كلها لم ارفع راسي .. اليوم سأرفع رأسي .. اليوم فقط لا بد ان ارفع رأسي .. اليوم يسمعها الجميع مدوية .. انا وكيل الشركة .. أريد حقوقي .

حسب كثير من الناس ان



السيد ابراهيم

★

التراجع سيكون سريعا ولكن الجميع لا يعرفون ان وراء قراري زملاء يحبونني ويرتبطون بي .. شباب .. صورة من صور المستقبل .. صورة من صور بلدي .. لن أكون ضعيفا مهما حدث .. انا وهو موظفان ، والعمل يحتاج لكلينا .. لماذا ينفرد به وحده .. لماذا يسيطر عليه وحده .. لماذا اكون ضعيفا ؟.

كان الموقف في البداية سيئا .. المفاجأة اذهلته .. اذهلتني انا نفسي .. لم اكن اشعر بقوتي .. كنت هشا .. ضعيفا .. ولكن اصالة عنصري هي واقعي .. هي قوتي .. هي صمودي .. مقالب .. حركات .. تحركات .. لا يهم .. كل شيء بقضاء .

وعاد صاحبنا الى اسلوبه الملتوي .. الى ابتسامته المزوقة .. الى نعومته .. اصبح أشد نعومة من الاول .. لو استطاع ان يفرغ في جسدي انيابه السامة لتوكلت على الله .. انا قوي .. بايماني .. وبزملائي .. الشر محاصر حتى ولو كان في نعومة (كركر) .. كان يريدني ان اقول له وداعا .. اترك له موقعي .. لا .. لست ضعيفا .. انا قوي بانسانيتي .. بفهمي لكل شيء .. يكفي ما قاله الساعي .. كان يكاد يبكي وهو يقول للمدير نفسه :

ــ انا مضيت مع الموظفين علشان الوكيل ميتنقلش .

وسأله ساخرا : ليه ؟!

فقال الساعي ــ لانه بيضحك في وشنا ــ .

رد بليغ من انسان بسيط .. القمه حجرا فسود وجهه .. القلوب تعانق الخير .. انا الضعيف أصبحت رمزا للخير .. للنضال .. لقوة الانسان .. لقوة الحق .. الرجل يرفع راسه .. يخرجني من أفكاري .. ماذا يريد ان يقول .. ؟

ــ رمزي بيه انت غلطان .. ازاي تقدم طلب نقل .. وازاي تخلي الاولاد يكتبوا لوكيل الوزارة انهم متمسكين بيك .. على أي حال انا كلمت وكيل الوزارة وقلت له انا متمسك بالاستاذ رمزي بس مش معنى كدا انك تطالب بحقك .. اختصاصاتك .. اختصاصات ايه؟! انت مش كدا .. اصدي يعني لحد الوقت مستريح ؟.. شاغل نفسك ليه ؟.. مش تسيب الهم لينا ؟. على اي حال اتفضل .. الشغل

ملعب الحب

أنا من أدمى جراحاتي الهوى ... وتلهت بتباريحي السنون

وانطوى ما قد زرعنا من منى ... وانتهى ما قد حصدنا من فتون

أنت من أودى بك الحب وقد ... كنت في أسر الاماني والحنين

لاقاتي في جنح الدجى ... وعناقي في ربى الحب الحنون

كم سكبت الدمع في الليل وكم ... واكب الدمع شهيق وأنين

لا تظني قلبي المضنى سلا ... وتوارى خلف أستار الظنون

ومشى من خلف آفاق الهوى ... وتناهت في حناياه الفنون

أنا من يحنو على آلامه ... ويلاقي باسما هول المنون

فجراحاتي التي أحيا بها ... تحمل الكبر وتابى أن تهون

ملعبي في الحل مخضل الجنى ... وسمائي فوق آفاق العيون

اسلام آباد ـ باكستان

يعقوب الرشيد

اهو .. انا تحت امرك .. اختصاصاتك هي اختصاصاتي .. أنا يسعدني انك تشيل الحمل ... اف ...

وذهل الاستاذ رمزي .. (كوكو) استسلم بسرعة مذهلة .. لا بد انه تعرض لضغط كبير .. لم يكن يفهم .. المهم اتفضل .. واعطاه ملفا مليئا بالاوراق ، واسرع الى مكتبه .. وهناك وجد معظم الاوراق تحقيقات مع الموظفين .. ولاول وهلة فرح بها وظل يعمل ويعمل والسعادة تخيم على جوه المكتبي ..

ومر يوم وأيام ثم وجد نفسه في عزلة .. لم يعد احد من الزملاء يقترب من مكتبه .. أصبح مكروها .. ما الذي حدث ..؟

كان يمارس عمله في صدق .. لم يكن يفعل شيئا سوى ما يحوله له المدير .. ما الذي يريده الزملاء ؟.. ولكن الزملاء لم يتكرموا بالرد .. تجاهلوه وتقرب اليه المدير اصبح يجالسه .. أصبح يحبه .. اصبح يحرضه على الزملاء .. كثرت التحقيقات والشكاوى.. احس رمزي بانه معزول .. مكروه .. كان يتحاشى الاضرار بأي موظف فكان الرجل يعيد الاوراق ويبتسم ويقول له : .. تعلم .. خليك جامد .. الشغل شغل ..

وتحت شعار الشغل شغل نجح في خلق هوة هائلة بينه وبين الاولاد كما كان يدعوهم ..

واخيرا تنبه الاستاذ رمزي .. خطة شيطانية لم يمانع المدير .. اعطاه السلطة .. سلطة الشر .. واندفع هو وفقد الاولاد .. فقد الاخوة .. فقد الزملاء فقد الحب.. واحس انه وحيد .. انه في حاجة للاخوة .. للزملاء .. لحبهم .. لضحكاتهم .. لتكتلاتهم اللطيفة .. لمؤامراتهم الطفولية .. احس بالوحدة .. شعر انه في حاجة لهم ولكنه كان يحس انه اساء للجميع وانه في حاجة للجميع .. اصبح يحس بالخجل .. أصبح لا يستطيع ان يراهم .. لقد خدعه المدير .. كان يحسبه قد انهزم ولكنه كان ذكيا خبيثا .. اعطاه سلطة القهر ليقضي عليه ... ولكن ما زال هناك امل .. لا بد من المقاومة .. سحقا للوظيفة وللتخصصات .. الزمالة ابقى .. الحب أعظم .. العمل الذي يكون دستوره الدس الخبيث والصراع ، ليس في حاجة له .

ومرت أيام وفوجىء الجميع بأن الاستاذ رمزي قد استقال .. ترك وظيفته .. واحس الجميع بهزة .. اسرع اليه الاولاد وقبل ان يسألوه دمعت عيناه وهو يقول :

ـ آسف يا اولاد .. انا كنت ساذج .. الراجل عمل في فصل.. انا كنت فاكر انه اتعلم .. لكن معليش .. كدا احسن .. زمالتكم ابقى .. حبكم اخلد .. اما السلطة .. القهر .. الصراع ، فالى زوال .. الى الجحيم ..

ثم فاضت عيناه بدموع .. دموع حقيقية .. نابعة من قلبه .. احس الاولاد بالدموع تحرق اعماقهم .. تكوي احساساتهم .. فاضت دموعهم .. بكى الاولاد ... بكى الجميع .. كان ما يربطهم برمزي ابقى من الوظيفة .. اقوى من السلطة ... اقوى من الالم ...

القاهرة

السيد ابراهيم



عبد العزيز جادو

قـواك المدخـرة

بقلم عبد العزيز جادو

***

ان ما يسميه وليم جيمس « النفس الثاني » لا يحدده الجهاز التنفسي بمفرده ، لاننا نرى انه يعبر عن نفسه بأشكال اخرى من الفعل والاحتمال والجلد . و « النفس الثاني » يعني بكل بساطة اننا صرنا الى ما نحن عليه من عادة التبصر في غاية جهدنا في الظروف العادية .

و « النفس الثاني » يقصد بـه البدء في اجتذاب قوتك المدخرة . فنحن نرى من حين الى آخر اننا اجتزنا لا شعوريا حدود التفكير « العادي » ، واننا في دهشة من انفسنا . ولقد امكننا ان نفعل الآن ذلك كلما اردنا وبهدم الحدود التي فرضها التفكير ، امكننا شيئا فشيئا ان نضيف الى قوانا مزيدا من القوة .

ولا شك أن كثيرا من القراء سيبادرون بالسؤال : « انني أرى أن هناك افرادا بعينهم ممن يقلون عني في كل شيء ، ممن لم يبذلوا جهدا كبيرا يستنفد قواهم ، يمكنهم بكل سهولة أن يصلحوا من حالهم باستعمال قدراتهم استعمالا ذكيا ، عاقلا ، اما قدراتي فضعيفة جدا ، كما اني واهن العزم ، خائر القوى ، ضعيف ، فاقد الامل ، اشعر شعورا اكيدا بأن حالتي تختلف اختلافا بينا عن حالته » . واني اجيب على هذا بأن اساس هذه الفكرة هو الافتقار الشديد الى الفهم .. وانت في حاجة ماسة الى ادراك صحيح للقوة التي تمتلكها ؛ او انك لم تحاول قط ان يكون لديك مثل هذا الفهم والادراك .

هل تعلم ان جسمك وعقلك يمتلكان قوى مدخرة عجيبة لم تستنفد منها شيئا حتى الآن ؟ وان هذه القوى، اقوى بكثير من اية قوة يمكن ان يستهلكها أي فرد الى حد استنفادها ؟

واستمسك الناس منذ أجيال بتحديد الافكار التي اقامت الحواجز الحقيقية . ولقد قيدتنا التربية ببعض الطرق والاساليب . فالقدماء لم يكونوا يعرفون شيئا عن السيارات والطائرات ، وغير ذلك من الآلات الصناعية الحديثة التي نراها اليوم ، ولكنهم مع ذلك كانوا يعرفون اشياء كثيرة لا نعرفها اليوم ، بل اننا نقف ازاءها عاجزين عن ادراك غوامض اسرارها ، ولقد عاشوا حيوات اطول مما نحياها اليوم ، وكانت أجسامهم اقوى بكثير من اجسامنا ، واشد احتمالا منا ، وربما كانوا اسعد حالا من حالنا .

لا شك ان اسباب الراحة والترف والرفاهية التي ننعم بها ، ضررها اكثر من نفعها ، فانها تجعل الحياة اسهل منالا واكثر هونا ، ولكن سبق ان قلنا من قبل انه ليس هناك الا طريق واحد يؤدي الى الترقي والنضج والنماء ، وهذا الطريق هو كيفية استعمالنا ملكاتنا .

وبمرور الاجيال ، جيلا بعد جيل ، وبمر العصور ، تحول عقل الانسان الى الاتجاه الذي جعل حياته اكثر بساطة واكثر سهولة ، وزاد عليها من اسباب الراحة والرفاهية الشيء الكثير . وكان عليه ان يستعمل عقله بحيث يمكنه ان يواجه المنافسة الحادة التي تصادفه اليوم وان يعيش ويواجه الحياة بمحتوياتها واعبائها .

يقول ايمرسون : « سوف ينتهي كل امرىء الى وقت يدرك فيه ان الجسد جهل ، وان التشبه انتحار ، وانه ينبغي للمرء ان يأخذ نفسه على علاتها ، ويرضى بها كما قسمها الله له . ويعلم أن الارض على امتلائها بالخيرات ، لن تهبه حبة من شعير ما لم يبذل الجهد على تعهد الارض التي تنبت الشعير ، وان القوة التي اودعها الله فيه فريدة في نوعها ، فلا احد غيره يعلم كنهها ، ولا هو نفسه يحيط بمداها ما لم يضعها موضع التجربة » .

ان الثبات والاحتمال يجعلانك تنمو قويا ، متينا .

ولقد وهبك الله قوى وقدرات لكي تستعملها وتستغلها . فاذا اخفقت في استعمالها بحق وعلى اتم ما يكون الاستعمال فالخطأ انما يرجع اليك وحدك . ولقد سلمنا من قبل بأننا جميعا نقع تحت سيطرة التحديدات الموروثة التي تقيد هويتنا وتعرقل قوتنا . ولكن هذا لا يعني اطلاقا اننا نعترف بالقسمة والنصيب ولا يجعلنا نستسلم للبخت والحظ . ولقد قيل ان رجلا مثل « اديسون » لم يكن يستعمل سوى ٧٥٪ من خلايا مخه. ويقول لنا العلماء اننا نمتلك ملايين من خلايا المخ لم

نستعملها ولم ندربها قط .

وليس المقصود ، بطبيعة الحال ، اننا نستعمل طاقتنا كلها في كل وقت ، في حين انه من الضروري أن **يكون لدينا قوة احتياطية ، مدخرة** ، يمكن ان نلجأ اليها **حين يتعذر علينا امر من الامور . ولا بد هناك من لحظات يتحتم علينا فيها ان نستنجد بقوتنا المدخرة .**

تنفس بعمق

ولا ينبغي لنا أن ننسى او نتناسى اننا اعلى وأسمى صورة في الحياة . وهذه الفائدة العرضية قد تمدنا بالثقة التي يمكن ان تتيح لنا القدرة على التصدي لاي **مشكلة من المشكلات ، ومجابهة اي قضية من القضايا ،** بارادة قوية ، وعزيمة ثابتة ، وقلب رابض رابط ، وحماس دافق .

خذ مثلا ، الرجل المتوسط او المرأة المتوسطة ، فهما يتنفسان تنفسا سطحيا . ويحتمل ان يكون السبب ناتجا عن العادات الكسولة التي كونها او كونتها . **مع ان هناك حدودا معينة خاصة للتنفس في غاية الاهمية .** فنحن في حالة المرض نكون في **اشد الحاجة الى احتياطي ، فاذا لم نكن نتنفس بعمق** فقد تتسبب في **جعل هذا التنفس صعبا على الخلايا** النامية في وقت المرض . ولسنا نبالغ اذا قلنا اننا نمرن فقط نصف خلايا الرئة . ومعنى هذا ان النصف الآخر يبقى في حالة ضعف ووهن . ومن هنا يأتي المرض او الداء الذي يجعل التنفس صعبا ، فيجعلنا نثقل على هذا الجزء النامي من **الخلايا بما يجب ان تتحمله كل الخلايا .** ونتيجة لذلك نجد أناسا كثيرين عاجزين عن مواجهة هذه الازمة .

وانك لتعرف أن التنفس يلعب دورا **في غاية الاهمية في حياتك . فهو تلك الوظيفة التي تطرد كثيرا** من المواد العادمة ، وتنقل الى الدم اخصابا يعتبر من اهم ضرورات الحياة .

ولا تخف من ان يفرغ الهواء من عندك بالتنفس العميق كالشاب الذي جاء ذات مرة يسألني : « **لقد** مارست التمرين الخاص **بالتنفس العميق حسب تعليماتك** مرة واحدة ، انتابني بعدها دوار شديد واحسست كأني فقدت نفسي » . نعم ، قد يحدث في بعض الاحيان ان يصاب الفرد بشيء من الدوار حين يبدأ في ممارسة منهاج التنفس العميق ، وذلك لان الاجزاء لم تتعود بعد على هذه الزيادة الاضافية من الهواء الذي يغمر حتى هذه اللحظة الجهاز التنفسي . وحتى هذه اللحظة ايضا يزيد في تنبيه الاعصاب ويبالغ في اثارتها ، **فيشعر الفرد بهذا الدوار .** ولكن ليس هناك اي ضرر من هذا وليس ثمة ما يثير مخاوفنا . وغاية الامر انه بذلك يبين ان رئتي الشخص ضعيفتان ولذلك فهو في حاجة قصوى الى مثل هذا التمرين . واذن فليس للفرد أن يخشى شيئا البتة من فقد تنفسه .

والرئتان مزودتان بثلاثة اقسام منفصلة من الهواء الاحتياطي : هناك الاحتياطي الذي نستعمله في الشهيق والزفير ، ثم هناك الاحتياطي الذي نسميه بالهواء المكمل ، الذي نلجأ اليه حين ينفد القسم الاول بمجرد حدوث صدمة مفاجئة ، او سقوط اثر ضربة شديدة كالتي نسميها في الملاكمة (الضربة القاضية) ، ثم هناك ايضا ما يسمى بالهواء المتبقي او الراكد في الرئتين بعد الزفير . اذن فانت ترى اننا مزودون بما يجعلنا قادرين على مواجهة اي طارىء مفاجىء .

وبنفس هذه الطريقة لدينا قوة احتياطية مدخرة في كياننا كله . .

الم تعد ذات مرة الى بيتك بعد تعب يوم مضن في عمل شاق الى ابعد حدود المشقة ، ولسان حالك يقول : « لقد هلكت ، وانقطعت انفاسي ، ولا يمكنني ان اخطو اية خطوة اخرى لانقاذ حياتي ، خلاص . . انتهيت » ؟ . . ثم يطرؤ على حين فجأة شيء غير عادي ، كأن يشب حريق في منزل مجاور لمنزلك ، يجعلك تقفز من مكانك ، وتلبس نعلك بأسرع ما يمكن ، وتجري بأقصى سرعتك ، لتشهد اللهب واعمال الانقاذ وفي نفسك تحفز للمشاركة فيها ؟ . . لا شك انك ستقف عدة ساعات تنتابك فيها عدة عوامل ، **ثم تعود** بعد ذلك الى بيتك **اقل تعبا مما كنت .** بل ربما تكون قد نسيت تماما ما كنت تشعر به من تعب شديد . فالتهيج والاستفزاز والاستثارة قد استنجدت جميعها ببعض قوتك المدخرة ، وتغير التفكير هدم التحديدات الثابتة التي كنت تستمسك بها . فانت عندما **عدت من** عملك استمسكت بفكرة محدودة ، هي : « لا يمكنني ان اذهب الى ابعد من ذلك » واصررت على هذه الفكرة ، **ولكنك رأيت ان هذه الفكرة المحدودة قد انتقلت توا في تلك اللحظة وارتحلت بعيدا .**

وهاك مثال آخر : لنفرض ان لديك بعض مهام كريهة الى نفسك ، تنفر من القيام بانجازها وتضطرك الى السير على قدميك مسافة تبلغ خمسة اميال لمقابلة احد **الرؤساء . فانت في هذه الحالة تسير** وتتابع السير ، مستغرقا في التفكير في الواجب الذي يتعين عليك انجازه . وكلما واصلت السير **زاد اكتئابك وزادت عزيمتك فتورا ، وتشعر بقدميك تثقلان شيئا فشيئا ، فتبطؤ خطواتك وتتقطع انفاسك ، ويخيل اليك انك لن** تستطيع الوصول الى النهاية . **حتى اذا بلغت نهاية الشوط يكون التعب قد انهكك وارهقك** ، وتشعر وكأنك ستسقط في مكانك ، او انك « ستقع من طولك » كما يقولون .

ودعنا الآن نسير هذه المسافة من هذا « المشوار » في ظروف اخرى مختلفة عن سابقتها ، بصحبة فتاة **نحبها - مثلا - او مع صديق مؤنس ودود . لا شك انكما**

ستمضيان معا طول المسافة تتسليان بالحديث الممتع الشائق ، وتتسامران كأحسن ما يكون السميران ، لا يهمك من امر نفسك شيء بقدر ما يهمك من امر الشخص الآخر ، يا لها من سعادة ويا لها من بهجة تلك التي تستشعرها وأنت تمضي الخمسة اميال دون ان تحس بطول المسافة ودون ان تشعر بانتهائها .. من المؤكد ان رفيقين او صاحبين كهذين تحت ظروف او حالات كهذه يمكنهما ان يقطعا هذه المسافة ذهابا وايابا اكثر من مرة .

والتفاوت او الاختلاف هنا ، بين الحالتين كما ترى، ناتج كله عن اختلاف الميل او الاتجاه في التفكير . ففي الحالة الاولى نجد افكارا غامة ، محزنة ، تسعى سعيها وتؤدي دورها اقوى ما يكون الاداء ، فكنت لذلك مرهقا تعبا ، اما في الحالة الثانية فان الافكار المنعشة ، المنبهة ، المشجعة ، هي التي كانت موجودة لديك ، مسيطرة عليك ، وهي التي اثارتك وحفزتك ، بل اضافت اليك مزيدا من القوة وامدتك بروافد من القدرة .

طاقات لا تنضب

وما يزال هناك مثال آخر يرينا كيف نحدد انفسنا جميعا ونحصرها في خطوط فيزيقية . فالشخص الذي يذهب عقله فجاة ويصاب بنوبة جنون مفاجئة ، يمتلك في تلك اللحظة قوى تعادل قوة شخصين او ثلاثة اشخاص عاديين . ولقد راينا جميعا حالات تستدعي الاستعانة بأربعة اشخاص للامساك برجل واحد .

إذن فمن اين جاءت كل هذه القوة الهائلة في الدقائق القليلة التي مرت بين فترتي صحة العقل والجنون ؟.. هذا لانه عندما انتهى الى حالة الجنون نسي نفسه تماما ، وبذلك هدم كل حدود الفكر واستعمل « كله » .. كل كيانه .. او بمعنى آخر ، استعمل جسمه كله ككتلة .. انه يمتلك تلك القوة دائما كل الوقت وفي كل وقت ، وهي كائنة فيه لا تفارقه .. ولكن نظرا الى تلك القيود وتلك الحدود فهو لا يستطيع استعمالها . ولقد كان ذلك كله اختلافا وتباينا في الاتجاه العقلي . فهو حين كان صحيح العقل كان يشعر في قرارته بأنه لا يمكنه ان يقوم بعمل اشياء بعينها . ولكنه في حالة الجنون زايلته هذه الفكرة وامحت تماما ..

ان اتجاهنا الطبيعي هو ان نعمل اقل ما يمكن عمله. وان نسلك الطريق السهل ، ونتبع الاساليب التي لا تستدعي جهداً . وهذا هو التفكير الخاطىء الذي يفرض (كضريبة) في الوقت المناسب على حدود الفكر لطبيعة العادة . والعادة ، كما نعرف ، من الصعب تركها او الاقلاع عنها .

تخيل الطاقة كما لو كانت شيئا عاما ، عالميا ، مباحا للجميع .. شيئا يمكنك ان تسحب منه بحرية ما تشاء وقتما تشاء .. مستمسكا بالفكرة التي تؤكد ان الزاد وفير ، والامداد كثير ، وهما من الصراحة والوضوح بحيث يراهما ويلمسهما كل راغب مريد .. ثم تصور مخك وجسمك كما لو كانا واسطة او وسيلة تعبر عنهما هذه الطاقة العامة .. اشعر نفسك بأنه في مقدورك ان تأخذ من هذه الطاقة ما تشاء ، وأن تستغلها لمنفعتك ، وان تشغلها وتجعلها تسعى جادة كادحة للحصول على الاشياء التي تعتقد انك في حاجة اليها . وهذا اشبه تماما بالغذاء الذي نتزود به فانه يتحول عن طريق الاعضاء والانسجة المختلفة خلال الفعل الذكي ، المدرك ، لمجموعة الخلايا المختلفة الى الاستمراء اللازم والى فضلات بواسطة التركيب العضوي .

ويشاهد الفعل المماثل في تحول الطاقة – عن طريق الفن الآلي الحديث – الى ضوء وحرارة وقوة محركة حسب الارادة . والطاقة في كل حالة من هذه الحالات انما هي في الاصل ذات الشيء .

وعند التامل في قواك اريد منك ان تذكر ان ليس هناك سوى طاقة واحدة عامة ، شائعة في الكون كله . وهذه الطاقة تتمثل في حواسنا بصور واشكال متفاوتة ، متنوعة ، وتعبيراتها الفردية تعينها اسماء مميزة . وسواء أكانت تبدو واضحة في الجاذبية والاستطارة (١) والبناء (٢) ، او كانتقاض (٣) كالكهرباء والضوء والقوة والبصر ، او كفكر ، فهي دائما – بعناصرها – واحدة .. وهي دائما نفس الشيء .

والانسان هو الذي يحدد نفسه في جميع مراحل حياته – عقليا ، وماديا ، وجسديا ، واجتماعيا ، وماليا – والفرد يمكنه ان يحجب عن نفسه تماما اشعة الشمس اذا وضع قطعة صغيرة من النقود على كل من عينيه . وبمثل هذه الطريقة الحمقاء يحدد الشخص رؤى قوته الحقيقية ، وامكانياته المستقبلة .

اما فيما يختص بالاعمال التجارية فالرجل المتوسط يفكر بطرق واساليب بسيطة ، اذ ان تأثره النظري وثقته بنفسه تحددهما بدرجة عظيمة مناهج تفكيره الضيق .

كما ان كثيرا من المرضى ينسون القوة التي يمتلكونها ، ويرفضون في اغلب الاحيان ان يفتحوا الابواب لامهم الرءوم – الطبيعة . لقد تركوا انفسهم نهبا للهواجس حتى وهن العزم منهم ، وخمدت همتهم ، واستسلموا للضعف والوصب ، وهذا الامر كاف لان يقيم امامهم جدارا حجريا يجدون انفسهم حياله في عجز عن اجتيازه .

---

١ – الاستطارة : او الطيرورة ، احساس الشخص كانه طائر .
٢ – البناء : او الانابولزم – التجدد الخلوي في الاجسام الحية.
٣ – الانتقاض : او الكاتابولزم هو الدثور الخلوي في الاجسام الحية . والايض أي الميتابولزم في علم الاحياء ، هو مجموع العمليات البنائية والانتقاضية في التمثيل الغذائي الحيوي في الجسم .

وبجانب ذلك ، الحالات الفيزيقية او الجسمانية ، فالشخص الذي وصل الى منتصف الحياة يبدأ يهتم بنفسه ويرعاها ويعمل على وقايتها بشتى السبل ، حتى انه يعتقد ان ليس في مقدوره القيام بعمل اشياء فيزيقية معينة قام بعملها مرة قبل ذلك . فهو لذلك يشيخ قبل الاوان • وبعدم استعماله لعضلاته تضعف شيئا فشيئا ، وتزداد ضعفا الى ان يغدو ، بطبيعة الحال ، في اشد الحاجة الى حيويتها ، ومرنتها ، وصحة بنيتها ، لاداء وظيفتها . وهو لذلك اذا حاول تجربة شيء فانه يشعر بالالم والعجز عن تحريكها كما يجب ، فتنطبع فكرة الضعف في عقله بعمق ، ويتملكه الاسى والاسف والحسرة .

رايت منذ زمن قريب اربعة من اللاعبين المتمرسين يعرضون حركات بهلوانية كانوا يمارسونها فيما مضى على المسرح — من رقص وانثناء والتواء وغير ذلك من حركات تستدعي خفة الحركة والمرونة . لقد كانوا جميعا فوق السبعين من سني حياتهم . كان الواحد منهم « عجوزا » ولكنه كان نشيطا ، رشيقا ، يؤدي بسهولة حركات من العسير اتيانها كأن يضع كلتا قدميه خلف راسه ويمشي على يديه ك. ومعظم الناس الذين يستطيعون القيام بتأدية هذه الحركات بالذات حرصوا كل الحرص على اعداد انفسهم حسب الاصول الطبيعية لكي يكونوا صالحين لمثل هذا العمل ، خليقين به ، وظلوا يتمرنون السنين الطوال . ولقد اتاحت لهم هذه السنون الطويلة اكتساب خبرات لم تتهيأ للاخرين . والامر كله لا يعدو شيئين هما : الثقة ، والممارسة او المران . .

الطريق الى الرضا

اذن ، ليس لدينا الا ان يعمل كل منا في جوه الخاص به ، وفي محيطه ، وفقا للحكمة التي يمكنه بحذقه ومهارته ان يجتذبها من المخزن العالمي ، العام . ومن البديهي أن هذا لن يتأتي له الا بالاحترام اللائق المتبادل بينه وبين رفاقه ومن يعايشونه بل العالم على الاطلاق .

اصنع عالمك الذي تريد أن تعيش فيه ، وليكن هذا العالم مليئا بالخير ، وحب الخير للغير ، والحماس ، والاستقامة .

تتبع الميل العام لدوافعك الطبيعية كما يكيفها ويحورها ويوجهها عقلك ، بدون خوف او وجل ، وبدون اختلاف في الراي ، بنفس راضية ، وبروح سمحة ، حرة ، مستقلة ، فيها عزم وحزم وتصميم . وتأكد ان كل ما تحتاج اليه من اجل تأدية العمل المناسب تحت امرك دائما . واعلم ان وجودك في الحياة لا بد ان تكون له ضرورة جوهرية تدعوك لان تنشد الكمال في كل الاحوال.

اما الافعال الفردية الخاطئة فلن يكون لها أي اثر يذكر ، ما دام سلوكك وتصرفك — بصفة عامة — يقومان على نية صادقة ، وقصد سليم . وستنال من الآخرين التقدير ، والثناء وحسن الجزاء .

وهناك درس آخر له اهمية فريدة فذة ، لمن لديهم الرغبة كل الرغبة في ان يتعلموا — هي ان الجهة الوحيدة التي يجب علينا ان نتوجه اليها خاشعين ، متبتلين ، هي قلوبنا ، والكشف عن القيمة التي لا تقدر لقلوبنا الكبيرة ، المؤمنة ، انما يكون بالهدوء ، والصفاء النابع من نفوسنا . .

وثمة درس آخر له من الاهمية مثل ما لسابقه لمن اراد المزيد من العلم هو : ان كل ما يحتاج اليه الفرد في دنياه لكي يحيا حياة حرة ، كريمة ، كاملة ، عظيمة ، انما هو موجود فيه ، في طويته .

لا تغلق عقلك عن نقاش الآخرين وجدلهم وتعليلاتهم . دعه مفتوحا للاقتناع . ولكن لا تقبل أي بيان او تقرير ولا تسلم بأي موضوع ما لم يرق لك ، وما لم يتفق مع قوة استدلالك .

ابن فلسفتك الخاصة بك بما يمكن ان تجمعه شيئا فشيئا مما تراه منطويا على الحقيقة والصدق ، من هنا ومن هنالك ، ومن كل مكان . ثم صنها في حقيقة كبيرة واحدة تلتقي مع كل حاجة من حاجاتك .

ان قواك ستزداد عن طريق الاستعمال فقط . وستظفر بالاتصال بعقلك الباطن ، وبمخزن معلوماتك ومعارفك ، وبقوتك وقدرتك ، عن طريق واحدة هي ان تجعل نفسك تألف هذي القوى وتعتادها ، وتدخل معها في صلات ودية ، مخلصة . فهناك . . في داخلك ، امكانيات كبيرة للغاية ، في انتظار الوقت الذي تكون عندك فيه الرغبة والارادة لطلبها ، والجد في السعي للحصول عليها . .

وهل تعلم ، ان نفسك اللاشعورية ، اذا دربتها بصدق واخلاص ، فانها ستحل لك معظم مشكلاتك الصعبة ؟ . . اني اكرر لك مرة اخرى واخيرة ما سبق ان قلته من قبل ، وهو ان تذكر جيدا ، وتضع نصب عينيك دائما ان كل ما سبق ان قرأته وسمعته ورأيته وشعرت به مخزون كله هناك . • في نفسك اللاشعورية . . انه مكان اشبه شيء « بدار الحفظ » في الجرائد الكبيرة — مليء بمعلومات من جميع الموضوعات .

هل تريد الحصول على قرار حاسم في أمر معين ؟.

هل تريد ان تقطع بشيء في راي او عمل ؟ . .

اذن يتعين عليك ان يكون لديك كثير من الحقائق تضعها امامك موضع البحث والفحص حتى يمكنك ان تحكم فيها بحكمة وفطنة وتعقل . وانت لا يمكنك ان تسترجع كل هذه الحقائق شعوريا ، ولذلك فان الشيء الذي يجب ان تفعله هو أن تقرأ الموضوع اولا ، اذا كان جديدا عليك ، ثم حوله كله الى عقلك الباطن حتى يمكنك

رائف يقص لي حكايات

هذه قصيدة ثالثة أكتبها ، مناغيا بها حفيدي « رائف » ابن بنتي ذكاء ، وقد نشرت الاوليان في « الاديب » لاشهر عام ١٩٧٠.

يقص لي (رائف) أحلى الحكايات ... كذاك يقلب من فني وآياتي
أنا الذي رحت أروي قصة خلبت ... له وأريه بعض لعباتي
يفديه حضني وزندي لف قامته ... فيلمس السحر في قوالي ولفتاتي
حتى اذا نام والاملاك تحرسه ... حملته لسرير ملء لهفاتي

وقال : (جدو) أنا الآتيك في قصصي ... لكي تنام عليها دون هزات
وصار يخترع الاحداث واهية ... حينا وآونة تسبي بفتنات
وقد أنام ولي حلم بمبسمه ... يطيف بي في الدجى بين السموات

عكست آية روحي في الفنون فكم ... نسجت لي قصة تحوي محاكاتي
صرت الصغير على معشوق خاطرها ... وصار (رائف) كهلا في الروايات

قالت معمرة في الاهل تعرفني ... طفلا وكانت تواتيني بقصات
أراك أشبهت في الخلق الحفيد وما ... وجدت مثلك في هذي السجيات
فقلت ليت أعود اليوم بعد عني ... كمثله وأرى أمي بمرآتي

دمشق — زكي المحاسني

ان تبت فيه فيما بعد . وبالتمرين والتمرس على هذه الخطوط سيأتي اليوم الذي يمكنك فيه أن تعتمد اعتمادا كليا على العقل الباطن لكي يعطيك الحكم الصائب حسب الوثيقة المعدة ، والمؤسسة على التجارب الماضية . فاذا تم لك ذلك فان عقلك الباطن سيمضي الى السجلات والاضابير الكثيرة العقلية حيث تختزن الحقائق ، ثم يجمعها ويرتبها وينسقها ، بحيث يجعلها معدة لتتسلمها عن طريق انفعال او انطباع ذهني يفيد ان هذا او ذاك هو الشيء الذي يليق بك ان تفعله . انها طاقة مدخرة اخرى لم يحاول الشخص المتوسط ان يستغلها او ان يجد في طلبها لاستخدامها .

يقول وليم جيمس : « اذا قسنا أنفسنا الى ما يجب ان نكون عليه ، اتضح لنا اننا انصاف احياء . فاننا لا نستخدم الا جانبا يسيرا من « مواردنا » الجسمانية والذهنية . او بمعنى آخر ، يعيش الفرد منا في حدود ضيقة يصطنعها داخل حدوده الحقيقية . انه يمتلك قوى كثيرة مختلفة ، ولكنه عادة لا يفطن اليها ، او يخفق في استخدامها » .

وان دراسة جادة منظمة في حياتك العملية عن البشرية ، وعن الانسان ، كما بينا لك من أمثال ، قمينة بأن تفتح لك آفاقا رحبة ، وتتيح لك امكانيات عجيبة ، وتجعل حياتك اكبر واوسع واجدى مما هي عليه في جميع الاحوال .

تمعن جيدا في هذه الحقائق الواضحة قبل ان تواصل السير في هذه الرحلة العقلية في الطريق الى الرضا .

ولقد حاولت جاهدا في هذا البحث ان اعرض عليك طريقة السير لسلوك السبيل السوي الذي يجدر بالشخص العاقل ان يتبعه ، بعد ان يكون قد تأهب للقيام بجميع المستلزمات الضرورية التي لا بد منها لمثل هذه الرحلة الشاقة .

وآمل ان يكون ادراكك او تصورك للطريق الوعر ، الشاق ، الذي امامك ، قد وضحت معالمه ، واتضحت مسالكه ، بهذه المحاولة المتواضعة التي عرضتها عليك — قارئي العزيز — واني لعلى يقين من انك ستسير قدما ، بخطوات حثيثة ثابتة ، متوجا باكليل الفوز والظفر والانتصار ، الى غرضك الاسمى :

الرضا الكامل ، او منتهى الرضا .

الاسكندرية — عبد العزيز جادو

ماسح الاحذية

في وجنتيه طلاقة وتورد ... وعلى اصابعه خضاب اسود
ضاقت به الدنيا فلم يحفل بها ... شتان عبد في الحياة وسيد
ضاقت فوسع بالبشاشة ضيقها ... وطفت فروضها فؤاد اصيد
ما هاضت البلوى جناح رجائه ... او شل همته الكفاح المجهد
ابدا يدندن ثغره اغنية ... تحلو على تكرارها وتجدد
ايان جاع فزاده في كيسه ... نعم الرفاق لفافتان ومزود
وينام حيث تناله سنة الكرى ... سيان لينة لديه وجلمد
لا يستقر به المكان كانما ... في نفسه دنيا تقوم وتقعد
طورا تراه في المحطة جاثما ... يستقبل الافادين او يتصيد
وتراه طورا في المقاهي حائما ... كالطير لاح لمقلتيه مورد
فرشاته من هدب كل مليحة ... وطلاؤه تبر اذيب وعسجد
والخرقة الصفراء فضلة فضلة ... من شال كسرى لم تدنسها يد
ويداعب المتقاصديه مراعيا ... أدب الكلام مجانبا ما يوجد
هذا يقول له حذاؤك كالح ... فاضحك لعل همومه تتبدد
ويعيب هذا ان سير حذائه ... كالمقود المحبوك او هو مقود
نكت تصب على الكفاح حلاوة ... وتصد عادية الملال وتبعد

يا ضاربا في الارض يزرع قوته ... عند الصباح وفي العشية يحصد
لا القر مهما اشتد يخمد عزمه ... يوما ولا حر الظهيرة يقعد
يهنيك انك لا تفكر في غد ... ان التعاسة ان ينغصنا الغد
قل للغني اذا وقفت ببابه ... انا لو علمت اعز منك واسعد
تخشى الكساد فلا تلذ بمأكل ... وتخاف عدوان اللصوص فتسهد
اما انا فانام ملء محاجري ... ويطيب في فمي الرغيف الاسود
داري الفضاء وباب داري مشرع ... للطارقين • وكهربائي الفرقد
ماذا اخاف ورأسمالي عدة ... عجفاء لا يغري بها متشرد
وعلام اخشى والنعال كثيرة ... والشمس تلفح والغمامة تجلد

يا غامرا بالبشر احذية الورى ... سلمت يد من افقها سحت يد
لا يهم فضلك في نطاق ضيق ... ان الكريم يجود ، لا يتقيد
بعض الوجوه وانت تعرف امرها ... جف الحياء بها وشاه المشهد
فامسح بفرشاتيك كالح لونها ... فلعلها تبيض او تتجدد

بوانس ايريس ـ الارجنتين

زكي قنصل

الدراسة النفسية للادب

بقلم عدنان بن ذريل

* * *

البلاغيون المحدثون ، وفي طليعتهم صاحب فن القول ، العلامة الجليل امين الخولي ، ثم الدارسون والنقاد المتمرسون ، امثال : الاساتذة عباس محمود العقاد ومحمد خلف الله ومحمد النويهي واسماعيل عز الدين وغيرهم ، عندما تصدوا لدراسة صلة علم النفس بالادب والبلاغة نظريا ، اي في البحث والتأصيل ، او عمليا اي في الدراسة الادبية والتطبيق ، وجدوا ضرورة تكريس الجانب النفسي اليوم في دراسة الادب والبلاغة ، سواء اعجب هذا التكريس اذواق الادباء او لم يعجبها ، واعتبروه شيئا من العلم ومنهجيته ووقائعه ..

وفي نظرنا لا ينبغي ان تكون صلة علم النفس بالادب ، والبلاغة ، موضع مساومة الاذواق الادبية ، او موضع القناعة النقدية التي تؤثر السلامة عادة على ان تخوض غمار العلم ، ومشاقه .. وذلك انها صلة طبيعية قائمة ، هي الصلة التي بين الصنيع والصانع ، بين الاثر الفني والادبي ومبدعه ، بين اللونيات الاسلوبية والملكات النفسية الادبية عند الاديب ، فكيف تكون موضع المساومة او القناعة ؟!..

ولذلك وجدنا بالفعل تجربة المؤصلين المؤسسين العلماء في البلاغة والنقد الادبي والادب اليوم تدفعهم الى الاعتراف بالجانب النفسي ، واصطناع المنهج العلمي النفسي الذي يجلوه ويوضحه لطالبيه .. فهل نلومهم على ذلك ، ام نحمل عليهم له !؟. في حين الاجدر بنا ان نوطد النفس والذوق لتقبل العلم ، وخاصة علم النفس في دراسة الادب ، والبلاغة اليوم ..

ان الفضل الجدي في التأصيل الواضح والوطيد حقا في هذا المجال يرجع الى العلامة امين الخولي ، الذي صير البلاغة الى فن القول ، واطلق عليها مصطلح « فن القول » في مؤلف ضخم وجليل حقا يحمل نفس العنوان « فن القول » مصر ، ١٩٤٧ ..

وقد استلزم امين الخولي مقدمة نفسية للدراسة البلاغية على حد قوله ، والمصطلح شائع اليوم ، وهو له ، وتدرس القوى الانسانية التي لها اثر في الفن والادب ، اولها صلة بماهية الفن والجمال .. هذه المقدمة النفسية تطلبت على الخصوص التعريف بالوجدان ، والخيال والذاكرة والاحساس والذوق ، ثم التعريف بمادة المعاني الادبية ، والخوالج النفسية في الحب والبغض والفرح والغيرة والحزن والانتقام وغيره (١) ..

وكنت وقتها نشرت في اواخر الاربعينيات ، ١٩٤٧ - ١٩٤٩ عدة مقالات علمية نفسية في « مجلة علم النفس » المصرية ، لصاحبها استاذنا الدكتور يوسف مراد ، عن : سيكولوجية الرمزية ، سويتها في منظور علمي عام ، اي مستقى من علم النفس العام (٢) ..

ووقتها اخرج الاستاذ حامد عبد القادر دراسته في علم النفس الادبي ، وقد اسماها - دراسات في علم النفس الادبي - ، مصر ١٩٤٩ ، ومعظمها معارف نفسية قديمة ، في تمثل نفسي قديم للموضوعات .. كما اخرج محمد النويهي كتابه : - ثقافة الناقد - مصر ١٩٤٩ ، وفيه قبسات من تأصيل نفسي في الادب والنقد . في حين دراسات محمد خلف الله احمد التي صدرت وقتها تقريبا - من الوجهة النفسية في دراسة الادب ونقده - مصر ١٩٤٨ كانت اكثر حداثة وتحررا ولاقت معارضة من كثيرين ..

ومؤخرا اصدر عبد الحميد يونس ، وهو من المريدين المخلصين للعلامة امين الخولي - الاسس الفنية في النقد الادبي - ، مصر ١٩٥٨ ، وفيه مواضيع نفسية ، مصبوغة بصبغة جمالية ظاهرة ، مثل الابداع الفني ، التجربة والتسلية والترمية والذوق وغيرها .. كما اصدر شكري عياد وهو ايضا من المريدين المخلصين للعلامة الخولي « البطل في الادب واساطير » مصر ١٩٥٩ ، وفيه توفيق دقيق نفسي واجتماعي ، بين نظرات نفسانية واجتماعية انثروبولوجية ، شائعة اليوم في البحث الادبي والفني والجمالي ايضا : كما اصدر عز الدين اسماعيل كتابه « التفسير النفسي للادب » مصر ١٩٦٣ ، وهو كتاب كرسه المؤلف على حقائق علم النفس التحليلي .. وهكذا دواليك ..

في المقابل كلنا يذكر النقدات الشهيرة التي كان يوجهها طه حسين الى الدارسين حين يصطنعون النظرات النفسية ، نقداته لعباس محمود العقاد ، ومحمد النويهي (٣) ..

ذلك ان عباس محمود العقاد درس في اوائل الثلاثينات « ابن الرومي » مصر ١٩٣١ ، وحاول تفسير وسوسته وتطيره بدراسة نفسية عامة ومقارنة ، ثم درس ابا نواس « ابن هاني » مصر ١٩٥٤ ، في اواسط الخمسينيات ، فيصطنع التحليل النفسي ليشرح نرجسية ابي نواس ..

وقد رفض طه حسين الاتجاه والمنهج ، ورأى ان علماء التحليل النفسي لهم مذاهب متعددة يخطئون فيها ويصيبون ، وهو من اختصاصهم ، في حين الادباء مقلدون لهؤلاء العلماء دون طائل وليس التحليل من شيمتهم واختصاصهم .. وقد رد العقاد عليه بما معناه :

- ان دراسة الاديب لعلم النفس ، او دراسة الادباء والشعراء في ضوء علم النفس امر ضروري ، لان ذلك

سيمكنه من فهم ما يصدر الادباء والشعراء عنه من تجارب واحاسيس وانفعالات ، ويساعده على فهم ادبهم وشعرهم (٤) ..

ومثل ذلك حملات الناقد المصري محمد مندور على الدراسة النفسية ، وتسفيهه نتائج العلم او المناهج الجمالية ، فقد وجه حملته في ذلك الى دراسات محمد خلف الله .. فقد رأى محمد مندور ان هذا المنحى النفسي في الدراسة الادبية من شأنه ان يصيب حياتنا بالعقم ، ويبتلي الاذواق بالفساد ، ان ذلك سيقتل الادب، في حين لا يمكن للادب ان يتجدد الا بعناصره الداخلية ، اي الادبية البحتة ..

وفي راي محمد مندور ان الظن ان علم النفس ، او علم الجمال او غيرهما من العلوم مفيدة للادب ودراسته ، هو ظن خاطىء ووهم بعيد ، لان علينا في نظره معرفة هذه الابحاث شريطة الاحتفاظ بها لانفسنا ، لا ان يزج المرء بها في الادب ونقده فيفسد بها دراسته ويفسد الاذواق على العموم (٥) ..

وهل هذا الكلام صحيح ؟.. هل تضر الدراسة النفسية في الادب ودراسته ؟!.

واي ضير في دراسة الادب نفسيا ؟!.. ما دام ان الادب نتاج انساني فني يصور عقل الاديب وشعوره وحيوات الناس ، أي ضير في تبين ظروف هذا النتاج الانساني ، وعمليات ابداعه وعناصره ؟!.

على العكس ، ان دعوة محمد مندور الى نبذ الدراسة النفسية للادب ، او الى الاستغناء عن علم النفس ، وعلم الاجتماع ، وعلم التاريخ وغيره لا اساس لها من الصحة ، وهي تعصب محدود للذوق الادبي وخير منها التنوير العلمي المفيد والصائب .. وكيف يحتفظ الدارس لنفسه بحقائق العلم والمعرفة ، والاولى تقديمها في مجال نفسي نقدي وبلاغي يخدم الادب ، ولا يضره ، فتنور الراغب في التعمق عن الاسباب والعلل ..

وكان حاول صديقنا محمد يوسف نجم حصر الدراسات النفسية في الادب ، او اثرها في الدراسات النقدية (٦) ، فنوه بدراسات محمد خلف الله ، وعباس العقاد ، وحامد عبد القادر ، ومحمد النويهي ، وشكري عياد وغيرهم .. ولكن دلت تعليقاته على منجزات هؤلاء الرواد انه بالاحرى متحفظ ازاء هذا الاتجاه ، لا يستسيغ منهجية العلم فيه ..

فمثلا يقول في دراسات حامد عبد القادر « جاءت ولها مظهر الصواب وليس لها معناه ، ومضت دون ان تحرك ساكنا ، او تترك اثرا (٧) ، او يقول في الاسس النفسية للابداع ، للاستاذ اسماعيل سويف « والمؤلف متخصص في علم النفس .. ولم يسعفه ذوقه الادبي على التحليل والنقد » (٨) ثم يتدارك نفسه ، فيقول :

« على ان هذا الكتاب يعتبر فتحا في الدراسات النفسية النظرية وهو بهذا المعنى مفيد للنقاد ، على ان يحسنوا استغلاله والافادة مما فيه من نظريات ومعلومات » (٩) .

في حين يقول في منهج النويهي في كتابه ثقافة الناقد :

« ليس فيه الا المؤونة العظيمة والمشقة الشديدة ، والتكلف والتوعر والتقعر ، يحيل الدراسة الادبية الى دراسة في الحواس والفدد والجهاز العصبي والجهاز الجنسي والجهاز التنفسي وما الى ذلك ، ويتطلب من الناقد ان يكون مستحضرا للارواح في بعض الاحيان » (١٠) .

والمسألة كما قلت مسألة اقتناع علمي ، وتهيؤ للبحث النفسي في نقد الادب ودراسته .. فأما ان نكرس دراسة نفسية للادب ، او لا نكرس ذلك ، في حين الاذواق واستيعابها وقائع علم النفس ومناهجه مسألة رديفة ، لا ينبغي ان تتعارض مع البحث النفسي ..

وليت شعري كيف تكون النظريات والمعلومات ، التي ينوه بها يوسف نجم ، مفيدة للنقاد ، في حال حسن استغلالها ، والنظريات هي النظريات والمعلومات هي المعلومات !؟. ثم لماذا لا تلم الدراسة الادبية باحوال الحواس والفدد والاجهزة المختلفة في الجسم الانساني ، ما دامت ذات علاقة مباشرة واساسية بالادب وابداعه ؟!.

قد يستشف من الحملات على الدراسة النفسية للادب ، او التعليقات عليها ، الاستياء من التطبيق العشوائي المقلد او الارعن ، وبالتالي تضليل القراء وافساد اذواقهم .. ولكن من منا لا يستاء من مثل هذا التطبيق ؟. ومن منا لا يخشى على القراء واذواقهم ؟!..

ان الدراسة النفسية في مجال نفسي بلاغي لعمليات الابداع الادبي على العكس دراسة ضرورية ، وليس فقط مفيدة ، انها تصلنا بالاسس والمرتكزات التي للابداع الادبي في الطبيعة الانسانية ، فتتحاشى كل تعنت او افتئات ..

دمشق — عدنان بن ذريل

---

١ ـ « فن القول » امين الخولي ، مصر ، ١٩٤٧ ، ص ٢١٥ ، وانظر ص ١٤٠ وما بعدها وص ١٩٨ وما بعدها ..

٢ ـ وقد انجزت في اواسط الستينيات كتاب « علم النفس والبلاغة » ، حالت ظروف الطباعة وقتها دون نشره فانصرفنا الى غيره وهو الآن قيد الطبع ..

٣ ـ راجع في ذلك « خصام ونقد » لطه حسين ، بيروت ، ص ٢٢٨ ـ ٢٤٤ ، وراجع فيه ايضا حملة طه حسين على محمود امين العالم وعبد العظيم انيس في موضوع تطبيق المنهجية العلمية في الادب، وتمثله ..

٤ ـ راجع في ذلك مجلة « الهلال » ، ابريل ، عدد خاص عن العقاد ، ثم « عباس العقاد ناقدا » لعبد الحي دياب ، مصر ، ١٩٦٦، ص ٦٦٧ وما بعدها ، ونحن نوافق العقاد على رأيه في ذلك ..

٥ ـ الميزان الجديد ، لمندور ، ص ١٣٠ ـ ١٣١ .

٦ و٧ و٨ و٩ و١٠ ـ بحث « الفنون الادبية » لمحمد يوسف نجم، في مجموعة الادب العربي في آثار الدارسين بيروت ١٩٦١ ، ص ٢١١ وما بعدها ثم ص ٣٦٥ ـ ٣٦٦ ..

عيون الخطب العربية في عيون الاخبار

بقلم سكينة الشهابي

* * *

من المراجع الهامة التي لا نستطيع ان نستغني عنها في مكتباتنا كتاب « عيون الاخبار » لابن قتيبة الدينوري المتوفي سنة ٢٧٦ هـ . هذا الرجل الذي كان موسوعة من موسوعات القرن الثالث الهجري في الادب والنقد واللغة .

والحقيقة انني كنت أسرع الى عيون الاخبار كلما اردت الحصول على نص من النصوص الادبية قبل ان أسرع الى اي كتاب آخر يتوفر فيه ذلك النص ، لاعتقادي ان ابن قتيبة يمكن ان نضعه في مقدمة من نأخذ عنهم ، وربما تولدت عندي هذه الفكرة منذ قرات كتابيه « تأويل غريب القرآن » و « مشكل القرآن » ، وبعد ان اطلعت على خطوط حياته الرئيسية وتجلى لي بوضوح مبلغ ما كان يتحلى به من استقامة .

وكعادتي امتدت يدي الى عيون الاخبار حين احتجت الى نموذج من الخطب السياسية في عصر صدر الاسلام ، وفي الجزء الثاني منه قرات خطبة ابي بكر الصديق يوم ولي الخلافة . ولاحظت وانا اقرأ ذلك الاختلاف الكبير بين الخطبة كما اعرفها وبين ما اجده امامي ، ودعاني الامر وقتها الى نظرة سريعة في كثير من الخطب الواردة في الكتاب عقدت العزم بعدها على العودة اليه في اقرب فرصة تتاح لي لكي اقرأ بامعان ولكي اقارن ما اقرأ بروايات اخرى له في كتب اخرى وما اكثر الكتب التي روت الخطب العربية الشهيرة .

وما من شك ان لكل مؤلف طريقته وان ابن قتيبة لا تهمه الخطبة بقدر ما يهمه بعضها يسرده على انه اهم ما فيها ، وعمله هذا يتمشى مع الغاية التي هدف اليها في كتابه وهي اختياره من كل شيء اهمه ، فمن خطبة أبي حمزة الخارجي مثلا التي رد فيها على أهل مكة حين عيروه بأصحابه يختار ما يجده متعلقا بفرض الخطيب ويحذف من اولها حديث أبي حمزة عن الرسول صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر .

وهكذا فانني لا اعني بالاختلاف طريقة ابن قتيبة الفنية وانما اقصد تفاوت الخطب بالشكل والمضمون بينه وبين غيره ، هذا التفاوت الذي اعادني الى عيون الاخبار متأنية متمعنة لاقارن ما ورد فيه من خطب شهيرة بالشكل الذي وردت عليه في امهات الكتب العربية .

لقد وجدت ان ما أثار انتباهي في خطبة ابي بكر يتأكد بقوة مع الاستمرار في القراءة والمقارنة . فخطبة الحجاج المشهورة في اهل الكوفة لا نجد منها في عيون الاخبار الا جزءا يسيرا وبشكل مختلف تماما مما لا نستطيع معه ان نثبت بلاغة الحجاج المعروفة . فالشعر الذي بدأ به الحجاج خطبته والذي تزعم الروايات انه ملأ نفوس السامعين بالرعب لا نجد منه عند ابن قتيبة الا هذا البيت :

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا ... متى اضع العمامة تعرفوني

ثم يأتي بعده :

« أن امير المؤمنين نكب عيدانه بين يديه فوجدني أمرها عودا واصلبها مكسرا فوجهني اليكم ، الا فوالله لاغصبنكم عصب السلمة ولالحونكم لحو العود ولاضربنكم ضرب غرائب الابل ، حتى تستقيم قناتكم وحتى يقول القائل : انج سعد فقد قتل سعيد الا واياي وهذه السقفاء والذرافات ، فاني لا أوتى بأحد الجالسين في ذرافة الا ضربت عنقه » .

هذه خطبة الحجاج المشهورة في كتب الادب والتاريخ كما رواها ابن قتيبة ! ومن الواضح انها بهذا الشكل لا تثبت للحجاج شيئا من البلاغة التي عرف بها . وحين نقارنها بالشكل الذي روتها عليه كتب الادب لا نجد ما يتفق مع تلك الروايات باللفظ والمعنى الا هذه العبارات ! « فوجدني امرها عودا واصلبها مكسرا .. » التي تتفق مع رواية الكامل للمبرد . ثم « فوجهني اليكم » التي تتفق مع رواية البيان والتبيين للجاحظ . وكذلك عبارة : « لاضربنكم ضرب غرائب الابل » التي تتفق مع رواية كل من الكامل والبيان والتبيين .

اما هذا المثل : انج سعد فقد قتل سعيد . فكلنا يعرف ان زيادا قاله في خطبته البتراء الشهيرة والتي سنمر بها لنرى ماذا حصل لها عند ابن قتيبة .

ويبدو لنا ان ابن قتيبة متأكد من صحة ما يرويه حتى اذا وصل الى شيء سمعه بروايتين اورد الروايتين . فهو يقول بعد : « الا واياي وهذه السقفاء والذرافات » .

هكذا حدثنيه احمد بن سعيد عن ابي عبيد في كتابه غريب الحديث . وقال غيره هو : واياي وهذه الشفعاء .

والرواية الثانية التي أوردها ابن قتيبة هي المتعارف عليها في كتب الادب .

وقد أشار الزمخشري الى ان السقفاء قد وردت في الحديث من قبيل التصحيف وانما هي الشفعاء والحية انني وقفت عند خطبة الحجاج كما وردت في « عيون الاخبار » ذاهلة .

هل يعتقد ابن قتيبة ان ما اورده هو كل ما قاله الحجاج أم انه اورد جزءا من الخطبة يعتقد انه افضلها ولكن اين الشيء الذي يشير الى ذلك !

ولو افترضنا ان ما اورده ابن قتيبة هو بعض ما قاله الحجاج فلماذا لا يتفق مع رواية رجلين احدهما توفي قبله وهو الجاحظ (توفي الجاحظ سنة ٢٥٥) والثاني توفي بعده وهو المبرد (توفي المبرد سنة ٢٨٥). واذا ذهبنا الى ان هذا كله ما قاله الحجاج في خطبته فان رأينا هذا لا يتفق مع الحقائق التاريخية والادبية التي تؤكد مجمعة ان خطبة الحجاج كان لها اثر بلاغي قوي في نفوس اهل الكوفة المتمردين واتخذت مثلا على قوة البيان ورجاحة التفكير ، وما نراه امامنا لا يعطينا نموذجا رائعا من كلام خطيب يعرف كيف يؤثر في نفوس الجماهير .

ثم ان تواتر الروايات بشكل متقارب وتفرد عيون الاخبار بشكل خاص من الرواية يدعونا الى الحذر والقلق الطويل قبل ان نصل الى حل يتفق مع المنطق والتاريخ ، وربما زاد هذا القلق قول ابن قتيبة : خطبة للحجاج في البصرة !

والخطبة كما هو معروف وهو ما تجمع عليه المصادر لم تقل في البصرة وانما قيلت في الكوفة . اهذه خطبة اخرى غير خطبته في الكوفة .. اذا هل من المعقول ان يفضلها ناقد مثل ابن قتيبة على خطبة الكوفة العظيمة !؟

ان ما استطعنا لمسه عند ابن قتيبة في خطبة ابي بكر يوم ولي الخلافة ازداد نموا واتساعا في خطبة الحجاج . ولو وقف الامر عند هاتين الخطبتين لما كان هناك ما يثير الدهشة والتساؤل الكبير ، ولكن عيون الاخبار حريص على ان يورد كثيرا من عيون الخطب بشكل لا مثيل له في الكتب الاخرى ، وبما ان ابن قتيبة هو من هو في عالم الادب والرواية يحق لنا ان نسير معه في طريق المقارنة والتمحيص مع اعتقادنا ان الوصول الى نهاية الطريق عملية شاقة لا يمكن ان تتحقق لنا بهذه السهولة ، فهي تحتاج الى الكثير من البحث والمزيد من التنقيب . وفي بحث قصير كهذا لا بأس ان نقف عند خطبة اخرى تدفعنا خطوة الى الامام في سبيل ما نريد وربما كانت خطبة زياد بن ابي سفيان المعروفة بالبتراء من خير ما نختاره في هذا المجال .

يورد ابن قتيبة هذه الخطبة ويقتطع قسما كبيرا منها يأتي به على انه خطبة اخرى لزياد . وهذا القسم الذي اقتطعه تجمع المصادر الادبية على انه جزء من الخطبة ما عدا ابي علي القالي في كتابه « النوادر » .

واذا كان ابو علي القالي وابن قتيبة قد اتفقا في جعل الخطبة الواحدة خطبتين فاننا لا نستطيع ان نجد عندهما بالاضافة الى هذا العمل اتفاقا في شكل الرواية، اذ ان ترتيب العبارات والافكار يأتينا بشكل متفاوت لا يمكننا معه ان نجزم باتفاق الرواية الا بالمعنى . ففي كل من عيون الاخبار والنوادر يرد في الخطبة البتراء ما يشير الى تصحيح معاوية لنسب زياد وتأكيده انه ابن ابي سفيان ولكن بعبارات مختلفة وترتيب مختلف ..

جاء في النوادر بعد شيء من الخطبة : « ان معاوية قد قال ما بلغكم وشهدت الشهود بما قد سمعتم واني امرؤ قد رفع الله مني ما وضعوا وحفظ مني ما ضيعوا » .

وجاء في عيون الاخبار مطلعا للخطبة : « اما بعد فقد قال معاوية ما قد علمتم وشهدت الشهود بما قد سمعتم وانما كنت امرءا حفظ الله منه ما ضيع الناس ووصل ما قطعوا » .

وهكذا يبدو لنا الاختلاف في اللفظ والاختلاف في ترتيب الافكار مع الاتفاق في المعنى هذه خطبة زياد في الكتابين المذكورين وهي تختلف تمام الاختلاف عما وردت عليه عند الجاحظ وهو اسبقهما فقد رواها الجاحظ في بيانه ململمة الاجزاء منسقة العرض متسلسلة الافكار ، تتفق مع هذه الشهرة الادبية التي نالتها بين خطب العصر الاموي . وبالاضافة الى ذلك فرواية الجاحظ متفقة اتفاقا يكاد يكون تاما مع بقية المصادر الادبية العربية . والجدير بالذكر ان تصحيح نسب زياد لا يوجد الا في روايتي القالي وابن قتيبة .

ان البحث يطول ويطول مع مزيد من الاستعراض والمقارنة ولكن السؤال الكبير الذي يحق لنا ان نسأله قبل ان نتابع الطريق هو :

الى اي شيء نرجع ذلك التفاوت في الروايات بين ابن قتيبة ومعظم مصادرنا الادبية ؟ أيحق لنا ان نرجعه الى اختلاف الرواة الذين كان يأخذ عنهم ادباؤنا ولدينا ما يؤيد شيئا من هذا وهو خطبة معاوية قبيل وفاته التي رواها كل من الجاحظ في بيانه وابن قتيبة في عيونه برواية شبيب بن صفوان . لقد جاءت هذه الخطبة في الكتابين متفقة تمام الاتفاق لفظا ومعنى . كنا نستطيع الجزم نتيجة لمقارنة نصي الخطبة في الكتابين بأن رواتنا لم يكونوا ينقلون ما ينقلونه لنا باللفظ والمعنى ، وهذا المعنى الذي ربما حرصوا عليه قلما يرد سليما ، نعم كنا نستطيع الجزم بشيء من هذا لولا ما رأيناه من التقارب بين الرواة في المصادر المختلفة وتفرد ابن قتيبة بشكل خاص من الرواية .

والحقيقة ان للرواة الدور الكبير في هذا الاختلاف والاستمرار في مقارنة النصوص لا يكفي اذا لم ترافقه دراسة وافية لحياة هؤلاء الذين اخذت عنهم مصادرنا ومعرفة درجتهم من الثقة .

وقبل مثل هذا العمل لا نستطيع تفضيل رواية على اخرى .

ويجب الا ننكر ان الاهمية الكبيرة تبقى لراي هؤلاء الادباء الكبار الذين يأخذون عن الرواة ويبقى على راسهم ابن قتيبة الذي كان علما من اعلام السنة واللغة .

دمشق — **سكينة الشهابي**

فـــراشـــة

•

اسمى طوبي

الرابية ـ لبنان

وكانت فراشه
مذهبة الجانحين
تزين دنيا الربيع
كحلـم بديـع
تميس فيا حرقة الناظرين
فوآد .. وعـين
ويا شوق خفف فان الفراش
بعيد المنال على الطامعين

وطارت وعلت فشب اللهب
وحاصر ذاك الجمال الغرير
ومس الجناح المذهب
فضل النهـى
تهاوت على الارض صنو شقاء
وشلوا معذب

واقبلت النحل من كل صوب
تعيث وتنهش ذاك الجمال
فيا روعة الحسن كيف تهاوت
وكيف تولى النقاء وزال

وفي الليل .. في ليله المظلم
ايغفو .. وقاضيه لا يغفل
اعتديت .. أهضت الجناح
قتلت بريئا ولـم ترحم

وقال يهدىء من روعة
أنا ... انا ما فعلت
سوى أن لمست الجناح .
وقال المعذب في صدره
استبحت من الطهر ما لا يباح

وظل يقاضيه من لا يحابي
فويح جنون الشباب المعذب
وويـح الفراش
فالف فراشه
تجنى عليها جناح منهب
واغـواء معجب

قصة

كرامة الارض

بقلم نصرت توفيق خريش

كل شيء في الجنوب ، كان عاديا حولنا ، لولا الحرب .

الشمس كانت تشرق كعادتها ، كما اعتدناها متشابهة .

والصباحات الندية ، كنا نستقبلها بالحمد ، ونكملها بالعمل والعزم .

في قرانا لم نكن نهتم الا باشغالنا ...

اشغالنا كانت قضيتنا ...

حبة القمح ، التي كان يحملها الفلاحون في مآزرهم ، يبذرونها في قلب الارض : كانت املنا .

شتلة التبغ ، التي كنا نقطفها ورقة ورقة ، كانت قبلة اقتصادنا ، فمنها كنا نسدد قروضنا ، التي نستدينها من المصارف .

شجرة الزيتون كانت موضع محبتنا ، من حبوب زيتونها كنا نشغل عمالنا ونفتح معاصرنا ، ونملأ خوابينا ، ومن زيتها نسرج ايامنا .

سنابل القمح ، كانت توسع حقولنا ، وتزيد مواشينا ، وتعمر دورنا ، وترسل اولادنا الى المدارس والجامعات ، وتحرك مطاحننا ، وتمد افراننا بالخبز .

كل شيء حولنا ، كان عاديا ، فزراعتنا ومواردنا وحركة عملنا ، كلها كانت لولا الحرب ، مزدهرة .

ومع اننا لم نكن باغنياء ، واحوالنا عادية ، الا ان مواسمنا كانت مقبولة ، وبعضنا كان يستدين ، والحمد لله كنا نوفي ...

★

قرويون نحن في الجنوب .

اية ارقام نحن في خواطر الناس ، قبل الحرب وبعدها ، لست ادري .؟

انحن في منزلة الآحاد ام العشرات ام المئات ، ام الآلاف لست اعلم ؟

كل ما اسمعه اننا اصفار ، وبعض ما اعرف ان اصفارنا تعمل الملايين ... اصفارنا ليست كالمومياء ...

لسنا جامدين ، وان كنا نتوسد التربة الجامدة ، ونجعل من حجارة الحقل ، تحت ظلال الاشجار الوارفة ، متكأ لرؤوسنا . ولسنا باردين ، وان كنا نفترش الحصباء ، ونمد عليها زوادتنا ، ونستمريء الطعام بعد العمل ، ونستمع الى اغاني السنابل في الحقول الذهبية ... اننا حركة دائمة نستيقظ مع النسور والعصافير ، ونؤنس الشمس ، ونعمل مع الصحو والريح والمطر . اصدقاؤنا الفصول ، وامنا الارض واخوتنا الايام .

لولا الحرب ، قرويون نحن ، نقبل على العمل ، نفرح بالوجود ، نعشق الغاب ، نهيم بالحرية ، نتغزل بلون السماء ، نسخر من السأم ، يصدح الامل في ارجائنا ، سواعدنا تهيمن على الارض والشجر .

قرويون نحن ،

نبتسم للمصاعب ، نفتكر بالناس ، نستقبلهم في ربوعنا .

صدقوني اننا نهتم بالعائد ، ونقيم له الافراح والمواكب ... وتهلع قلوبنا ، يوم ينقلب واحد منا الى مهاجر طواف في ديار الناس ...

نولي الغائب اهتماما ، نرسل اليه سلال العنب والتين ... نحله في احلامنا ... نحادثه في منامنا .

الحياة عندنا ، لولا الحرب ، لها معنى ... فيها لذة ... فيها وفاء .

ايها الناس يوم تفتقدون لذة الحياة ، عودوا الى الارض ، واغرفوا منها طعم اللذة الحقيقية ، ويوم تضجرون ارتموا في احضان الطبيعة ، فهنالك لا وجود للضجر واليأس ... اما يوم تحصون الناس في جداول التعامل فافردوا للقروي خانة الوفاء .

★

كل شيء حولنا كان عاديا ، الى ان وقعت الحرب ...

واذا بالايام التي اعقبت الحرب ، تكون علينا اشد قسوة من الحرب نفسها ... فلا يمضي اسبوع الا ونرى القنابل المضيئة توحش ليالينا ... اكثر من مرة ... وفيما نكون منصرفين الى اعمالنا الزراعية نهارا ، غالبا ما تصرفنا طلقات الرصاص والمدافع عن متابعة اعمالنا ... وشيئا فشيئا لونت الحرب ، او ما يشبه حالة الحرب ، على حدودنا ، لونت ايامنا بلون صامت حزين ، ارتحلت البهجة عن روابينا ، واقلق زماننا هذا الغموض الذي يخبئه القدر لنا ... وصار القلق يقاسمنا نهاراتنا ، ويخنق حناجرنا ، وتحرق القنابل والصواريخ المعادية اكتاف تلالنا ، ويشقق اليأس سواعد رجالنا ، وترتجف اليد التي تغرس شتلة زرعنا .

كل شيء كان عاديا ، حولنا ... لولا هذه الحرب .

شمسنا صارت تغيب قبل موعدها ... وفسد هواؤنا بدخان القنابل ورائحة الحرب والدمار .

بعضنا لم يشأ ان يرى ارضه محروقة ، وتلاله عريانة ، فانضم الى قوافل النازحين يهجر الارض والتراب ... وتحولت القرية الى مكان شبه منسي ... هامد الحركة والظل ... حتى العصافير ، طارت الى امكنة اخرى واختفت من دوي المدافع ، تحرمنا من صداقتها ، ولا تعود تبثنا زقزقتها المرحة ... يكفي

ان تتخيلوا عالما من دون طيور ، لتدركوا الحالة التي نحن فيها ...

القنابل التي القيت على تلالنا ، قتلت اطفالنا وهم بين اوراق الزنبق يلعبون .

وبما اننا ملك لهؤلاء الاطفال قررنا ان نحمي الباقين منهم .

لاننا حين نهرب ، نكون جبناء تجاه انفسنا .

ونكون قد تخلينا عن ارضنا التي زرعنا فيها عمرنا .

ونكون قد تركنا بيوتنا ، التي لا تنفع القصور بعدها ، وشرعنا للتشريد بابا اين منه باب آخر !

ولكن ما حيلتنا ، اذا كانت الحرب تفسد مفهوم القيم الجمالية والحياتية ، وتنشيء الحقد عند سوانا ، وتحول الانسان الى قاتل ، طريقه المصلحةالشخصية والتوسع، لا طريق العدالة والمحبة .

عجبا كيف يستأثر الانسان باخيه الانسان ، في وقت يحتاج احدهما الآخر لبناء عالم يتعشق سحر المجتمع والعمل .

عجبا كيف يتخلى الانسان عن حبه لاخيه الانسان ، ويؤثر المادة والظلم والتسلط على كل شيء عداها ...

ان في لك قضاء على القيم الصافية . التقدم المادي لو سخره البشر من اجل خدمة الانسانية ، لقضى على الجوع والجريمة، واشاع السلام في الارض ...

لم يعد في يدنا نحن المسالمين ، حيلة .

فكان لا بد من سلاح اتقاء للشر ... القروي المسالم يحتاج الى سلاح ، عندما يفسرون مسالمته ضعفا .

حتى ولو كانت البندقية لا تسقط الطائرة النفاثة ، ولا تمنع قنابل النابالم ، فهي على الاقل تحمل العدو على التفكير بان من يستعديه له كرامة ، يدافع عنها ولو بابسط وسائل الدفاع .

فتوجهنا الى السلاح يحقق حمايتنا .

ونحمي به ارضنا وبيوتنا واطفالنا .

ونشهره في وجه الطامعين بنا ، فنريح ضميرنا بواجب الدفاع ، ونموت شجعانا ، اذا ما كتبت لنا الشهادة .

★

كنا ذلك الصباح من ايلول ، اشد حماسة من اي يوم مضى ... كان لنا قضية اخرى غير حبة القمح وشتلة التبغ .

كان لنا قضية الدفاع عن الارض التي تنبت كل هذه المواسم .

ذلك الصباح من ايلول ، كنا نعانق اخوتنا العائدين الذين نزحوا هربا من وجه القنابل ، وقد عادوا اليوم الى الجنوب ، لتكون لهم في الدفاع ، حصة .

ذلك الصباح كنا نهلل للسلاح ، توزعه السلطة علينا ، على الرغم من بساطته ومقارنته بالفانتوم والنابالم .

لقد كنا في حماس ووعي لتوجيهات المدرب وهو يتولى تعليمنا فنون الرماية وحفر الملاجيء واتقاء الغارات : اذا ما فرضت علينا .

وغدا ستشهد الارض ، ليس المحراث والمعول وصناديق التبغ وإكياس الزيتون ، وسلال العنب والتين فحسب ، ستشهد البندقية على اكتافنا ، وسيختلط ازيز رصاصنا ، ولو كان بسيطا ، مع قصف مدفعية جنودنا ، ونحن نتآزر ،اذا ما عادت القنابل المعادية تحرق تلالنا ، وتقتل اطفالنا في فم الزنبق ... فللارض معزة توازي معزة الابناء نحوطها بالوسائل الموجودة ، مهما بلغت قوة المعتدي من تفوق . اجل ان للارض كرامة نتقيها باجسادنا اذا ما عز السلاح .

لبنان الجنوبي **نصرت خريش**

الميت الحي

ترامت رؤاي فلا يحتويها	مكان وقد لا يعيها زمان
ترامت .. وما من سبيل اليها	يلوح ولست طليق العنان
أنا واقف لست أملك دربي	ضباب يحد امتداد الطريق
أنا عاجز وتمرد قلبي	رياح تدوي بكوخ عتيق
ظلام وصمت وقفر مقيم	ووهم ظلال ووهم رفيق
تمنيت أنك كنت رفيقي	فتحملني عبر كل مدار
ومهما تمادت صعاب ، معالا	بنالي ، ومهما تناءت ديار
معا قد نواجه كل احتمال	معا قد نجاوز كل جدار
أجل يا غريب انتظرت طويلا	وها قد ألفت فراغ الدنان
ألفت احتباس السماء بأرضي	أما آن يا درب ـ بعد ـ الاوان

دمشق **سلافة العامري**

اسكندر الخوري البيتجالي - عميد الامام

علي هاشم رشيد - مصباح العابودي

بقلم البدوي الملثم

* * *

١ ـ اسكندر الخوري البيتجالي

في بيت جالا « بفلسطين » فتح عينيه لنور الحياة عام ١٨٩٠. ونشأ في بيت ديني محافظ . وفي حداثته درس المزامير وكتابا للصلوات والالفباء اليونانية في مدرسة الروم الارثوذكس ببيت جالا لكن والده ابى هذا المرتع الجاف لولده فتمكن من ارساله الى المدرسة الروسية الداخلية في الناصرة حيث قضى فيها بضع سنوات ومنها انتقل الى مدرسة السالزيان الداخلية في بيت لحم ليتعلم اللغة الفرنسية فامضى فيها سنة واحدة ، وعلى اثرها بعث به والده الى الكلية البطريركية للروم الكاثوليك في بيروت ليبرع باللغة العربية وآدابها على يد علامة عصره الشيخ عبد الله البستاني استاذ الادب العربي في تلك الكلية .

ولاح على البيتجالي ، منذ حداثة صباه ، شغفه بالادب العربي وقرض الشعر وقد نشرت له صحيفتا « المحبة (١) » و « المنار (٢) » البيروتيتان وقتئذ قطعا أدبية ، وبعد تخرجه قصد القاهرة تطلعا الى مجال اوسع لحرية الفكر ، والدولة العثمانية على ما يعرفه الجميع من التضييق على حرية الفكر فشغل وظيفة كتابية في قلم التلغراف المصري ونشر بعضا من نفثات قلمه في الصحف والمجلات .

وعلى اثر الانقلاب العثماني واعلان الحرية (١٩٠٨) عاد الى فلسطين وانتخب عضوا في الوفد العربي الذي قررت الطائفة العربية الارثوذكسية ارساله الى الاستانة للمطالبة بالحقوق العربية التي غمطها رجال البطريركية الارثوذكسية بالقدس . وبعد عودته عين مديرا لمدرسة الكرك الارثوذكسية وما لبث ان عاد الى القدس معلما للعربية والافرنسية في مدرستي المطران والفرير وفي مدرسة البنات الروسية .

وفي الاحتلال البريطاني عين كاتبا في ديوان المستشار القضائي بالقدس ودرس الحقوق في معهد الحقوق الفلسطيني ثم عين رئيسا لكتاب محكمة الاستئناف فقاضيا للصلح وتنقل في اغلب المدن الفلسطينية . وفي عام ١٩٤٥ أحيل على التقاعد فزاول المحاماة وانصرف الى النظم والكتابة ونشر خواطره في كبريات المجلات والصحف العربية .

بعد النكبة : وعلى اثر الجلاء البريطاني عن فلسطين وما أصاب البلاد المقدسة من نكسات اضطرت العرب الى النزوح عنها لتخاذل الدول العربية امام العصابات اليهودية ، نزح مكرها عن عقار له في حي القطمون « بالقدس » تاركا فيه ما ادخره من مال واقتناه من رياش ، واقام في بيت جالا حيث عين مستشارا قانونيا للصليب الاحمر الدولي في منطقة بيت لحم والخليل فمفتشا لمدارس ابناء اللاجئين الفلسطينيين ومعلقا في زاوية « احاديث الناس » بجريدة « الدفاع » المقدسية ، ثم استقال من عمله هذا اثر انتدابه للسفر الى اميركا الجنوبية لجمع التبرعات لملجأ المرضى والمقعدين في بيت المقدس من الشطر المغترب .

وبعد أن أدى مهمته الانسانية عاد الى وطنه وزاول المحاماة وعهد اليه بزاوية « من هنا وهناك » وبصفحة « يوميات الجهاد » في جريدة « الجهاد » المقدسية ، وبانتفاضات جريئة اتسمت بالصراحة صور البيتجالي آلامه ومشاعره للنكبة الكبرى التي أصابت المواطنين في صميمهم ودكت آمالهم ، وبددت أشواقهم القومية

واخيرا عزف شاعرنا عن اجتماعات عامة يكثر فيها القول ... ويقل العمل ... وكره ان تسلط الاضواء البراقة عليه ، وقد اتخذها البعض وسيلة للظهور والشهرة والاعلان عن النفس ، وعزاؤه الوحيد، مهما برحت به الهموم وحزت في نفسه الآلام أن يرى السعادة في تأدية الواجب في خير يعمل وحقيقة تبحث ووطن يخدم !

نموذج من نثره : « غسيل فج ينشر من حين الى آخر فوق الاسطحة ، وكلما استبشرنا بجفافه عاد الى رطوبته شاكيا نقص الحرارة ... حرارة المثل التي تقضي على هذه الرطوبة ، وتكفي أصحاب الغسيل شرها !

ترى : أهي اسطورة : « اتفق العرب على الا يتفقوا ! » أهي الرطوبة الحائلة دون جفاف هذا الغسيل ؟ ان صح هذا لماذا نلوم الغسيل ان ظل فجا تؤذي العيون مشاهدته ، وتزكم الانوف رائحته ؟ ولماذا نلوم الاعداء ان هم رددوا الاسطورة القائلة : « اتفق العرب على الا يتفقوا ؟ »

كلنا راع وكلنا مسؤول ... وقبل ان يلوم احدنا الآخر او ان يلوم الاستعمار والصهيونية على بث بذور التفرقة والانقسام بيننا ، يجب علينا ان نلوم انفسنا اولا ، فلا ندع المصلحة الشخصية تحول دون اتفاقنا ، ولا لبذور التفرقة والانقسام ان تبيض وتفرخ في ارضنا!

ونحن ، بغير حرية الفكر لن نستطيع التعبير عن افكارنا اقترابا من الحقيقة ، كما اننا لا نستطيع بغير تشخيص الداء وصف الدواء ! فداؤنا قديم يشفع فيه الجهل والتخلف ... فما عذرنا اليوم والعلم والتقدم يغزوان عالمنا العربي ؟

ما عذرنا والاعداء من خلفنا وامامنا يتربصون بنا خشية يقظتنا على استثمارهم اراضينا واستغلالهم ثرواتنا ؟

ما عذرنا والعدو جاثم فوق صدورنا يخاف وحدتنا ويحرص على ان نبقى منقسمين ، وعن فلسطيننا غافلين ؟

اللهم هيء لغسيلنا الفج جوا يعجل في جفافه ويقينا شر رطوبته ! »

نماذج من شعره : اتسمت فلسطين في كافة عهودها بالحشمة والقداسة والوقار ، وما عرفت العري والشعور المقصوصة ، والهالات المقوصة الا في عهد الانتداب البريطاني ... فانقلبت موازين الوقار ، واختلت مقاييس الحشمة ، وخرجت فتيات اليهود بازياء نابية تسيء الى قدسية فلسطين وتشيع الرجس والفساد بين الشبان العرب .

هالت هذه الظاهرة « المستوردة » كل عربي شريف واشاعت الفزع والتساؤل في نفس شاعرنا البيتجالي فقال :

بارزات النهود ، حمر الخدود   عاريات الصدور ، ضمر القدود
يتخطرن في الشوارع تيها   بحلى من أساور وعقود

---

١ ـ صدر العدد الاول منها في ١٣ كانون الثاني ١٨٩٩ ومنشؤها فضل الله فارس أبو حلقة .

٢ ـ صدر العدد الاول منها في ١٥ كانون الثاني ١٩٠٣ ومنشؤها المطران ارسانيوس حداد .

وبرود شفافــة مــن دمقــس   شف عمــا اختفى وراء البــرود
يتلفتــن تــارة فــي ازدراء   ويقهقهــن تــارة كالوليــد
بينهن الحسنــاء من خادعوهــا   بهدايا الهـوى وحلـو الوعـود
والتي فارعت ومــا خادعوهــا   ببياض وحمـرة فـي الخدود
من بنات اليهــود جئن الينــا   مــن بعيـد بكـل زي جديـد
مشهد من مشاهد القدس هــذا   بين «باب الخليل» و « العامود »

وجزع شاعرنا لهول الحرب العالمية الثانية او قل مجزرة الانسانية في القرن العشرين فارخها شعرا ونثرا مع الرسوم فــي ملحمة اسماها « الحرب العالمية الثانية » ومن قوله في وصفها :

ان أنس لا أنسى ماضينا ومافعلت   بنا الوغى يوم قاربت الثلاثينــا
ما جف دم الالى خاضوا معاركها   كــلا ولا جف دمـع فـي مآقينا
عادت الينا فعــاد الويل ثانيـة   وها أنا اليوماصبحتابن خمسينا
شمطاء ما شاب قرناها وما وهنت   وقد وهنا وقـد شابت نواصينا

ومنهــا :

يا وحدة العرب هل حلم نحققــه   بعد ابن مروان هل حقــا تعودينا
اهلا بها وحــدة للشمل جامعــة   الخير فيها اذا ضمت فلسطينــا
هذي الشهيدة كم لاقت وكم شهدت   من المصائب مـن فرسان صهيونا
ثارت وثرنا ومــا كلت عزائمنــا   وقد صبرنا مدى خمس وعشرينا
ماذا دهاكم بني التاميز هل ضعفت   احلامكم بعدما كنتــم أساطينــا
الم نعنكم على الاتراك يـوم دوى   صوت الحسين وقد كانوا موالينا
قمنــا نحاربهم بالسيف وقتئــذ   ثرنــا لعزتنا ، عفنا السلاطينــا
وقد نسيتم عهودا بيننــا قطعت   ومــا عهدناكم للعهــد ناسينا
ومــا نسينا واحسنا ضيافتكــم   وكنتم عندنا الاهــل العزيزينــا
حتى تبدل ذاك العــز وانقشعت   تلك الغمامة عن ظلــم الغريبينا

ومنها في وصف معركة برلين :

هنا قصور يناطحن السحاب هوت   في لحظة وهناك الهــام يهوينــا
تكدست جثث الهاويـن وانبعثت   منها الروائــح يحكين الطرابينــا
وانهر جثث القتلــى مصادرهــا   جرين ينسبن كالحيـات يجرينــا
مشاهد ليس رائيهــا كسامعهــا   كلا وليس رواة مثــل رائينــا
يا أخت رومية ماذا أصابك هــل   أودت بهتلر مــا أودى بنيرونــا
اللــه أكبــر ! لا رب سواه ولا   كبير الالا يــا أقوى القوينــا

وكلما داوى شاعرنا ندوبه وهدهد من فورة آلامه وتناسى الوطن السليب برزت له صورة مسلرح طفولته ومدارج صباه ... في أطياف قل : هي أشباح اللاجئين ، فينشد نفسه ، تسريــة لهمه ، وطـردا لغمــه :

ولقد ذكرت الدار شط مزارهــا   والاهل فيهــا قعــد وقيــام
تتجاوب الاعراس فــي داراتهــا   وتميس فــي ساحاتهــا الآرام
أيام عــز مــا تجــدد ذكرهــا   الا تجدد فــي الفــؤاد ضـرام
وتبينت لي « الطالبية » وانبرت   لي القدس عن كثب وليس تـرام
عبثت بهــا أيدي الدمار وطوحت   بقبابهــا وشبابهــا الالغــام
ولمحت في «القطمون» دار اقامتي   والورد فــي جنباتهــا أكمــام
ليلى هنا أوحت الــي قصائدي   فكأننــي وكــأنهــا أحــلام
وهناك حول الدار مسرح طفلتي   وهناك ابنائــي حبوا واقامـوا
فتجرحت للذكريــات حشاشــة   حرى ومــا للذكريــات ختــام
ورأيت صول الوغـد حـين يهزه   نصر وصول الحــر حـين يضام
أعواصم الاعراب هل هذا الــذي   يرضى بــه الخلفــاء والاسلام
أنا لا اسائل هيئــة الامم التــي   توحي الذي يوحي به «الحاخام»
لا من يجيب عن السؤال مطمئنــا   طال السكوت بنـا وعـز كــلام
اشكو واسال لا مــلام يصدنــي   من كان فــي ألمــي فليس يلام

ورغم كر الشهور وانصرام الاعوام ظل شاعرنا اليتجالي طول تسعة عشر عاما يندب ملكا دال ، ومجدا زال ، ويجسد لوعته شعرا يتنـزى بالعبرات ، ويعج بالحسرات ، ويفيض بالتساؤل عن الوطن المغصوب ، والشرف المعطوب :

صاح أيــن الرجال تزخر كالبحــر المـدوي فــي عصفـه ورياحــه

اين هذا الحمى يعــج بأهليــه   ويزهــو بخبــوده وملاحــه
اين هذي القصور تنعم بالغيـد   وابـن الخـدور سـرح رواحــه
يا جيوشا لهــا قعدنــا وقمنا   هوذا الربــع فــي يـدي سفاحه

اي رعب هــذا الــذي اكتسح العرب ولــم يصمدوا امــام اكتساحه

لاجــىء يهبط المدائــن مفجــو   عــا بآمــالــه ....
ضاربا في الفضاء طــولا وعرضا   باحثا عــن ملاجىء فــي بطاحــه
شردتــه يــد السياسة حتــى   طوحته فــي حربــه وكفاحــه
شيد للامــن مجلس الامن لكــن   عصف الشر منــذ يـوم افتتاحه
وفلسطــين والعروبــة فيــه   تنعيــان الصلاح فــي صلاحــه
ان بستانهــم جميــل شهــي   غير ان السموم فــي تفاحــه

وفي عام ١٩٥٢ بارح الشاعر القطاع المتبقي من وطنه السليب جوا الى اميركا الجنوبية انجازا لمهمة انسانية ، لكنه ، رغم بعــد الدار وشط المزار ، لم ينس فلسطين واهلها المشردين المناكيد فاسمعه يقول:

هومت في الفضاء تقتحم الاجواء   فــي هيبــة وفــي اعجــاب
وتهادت فـوق الغيــوم عروسا   تتجلى فــي يومهــا المستطاب
خلت نفسي فيها عن الارض تسمو   والــى الخلــد أستحث ركابــي
لست بالخلد عن فلسطين ارضى   لا ولا عــن احبتــي وصحابــي
انمــا الخلــد فــي الكرامة نبني   من جديد وفــي اشتباك الحراب
في فلسطين، في الدفاع عن العرض   وفي زحمــة الوغــى بالشبــاب

من آثاره القلمية : احسن شاعرنا البيتجالي ست لغات حية هي: العربية والتركية واليونانية والروسية والفرنسية والانكليزيــة ، ولا عجب اذا سخا على الخزانة العربية بطائفة مــن الدواوين الشعريــة والروايات هذه اسماء بعضها :

١ ـ حقائق وعبر ـ مقالات في اللغة والادب والاجتماع .

٢ ـ الحياة بعد الموت ـ رواية تاريخية غرامية وقعت حوادثها في فلسطين خلال الحرب العالمية الاولى .

٣ ـ غبريلا الحسناء ـ ترجمها عن الفرنسية فــي جزءين ضخمين وهي من اشهر الروايات التاريخية الغرامية .

٤ ـ المفقود ـ ديوان شعر .

٥ ـ الطفل المنشد ـ قصائد للصغار .

٦ ـ المثل المنظوم ـ قصائد منها ما هو على السنة الطير والحيوان ومنها ما جرى مجرى المثل .

٧ ـ الحرب العالمية الثانية ـ تاريخها نظما ونثرا مع الرسوم .

٨ ـ في الصميم ـ بحث عامر في الزواج بقالب روائي جذاب .

٩ ـ آلام وآمال ـ شعر في نكبة فلسطين .

١٠ ـ أدب وطرب ـ نوادر وطرائف ارسلها العرب في مجالسهم.

١١ ـ الفتاة للفارس ـ من الروايات الروسية التاريخية وقــد تجلى فيها الحب النبيل .

١٢ ـ جولة في امريكا اللاتينية .

٢ ـ عميــد الامــام

ولد « عميد » في يافا بفلسطين عام ١٩٢٥ وتلقى دراسته الابتدائيــة والثانوية في « كلية الفرير » بيافا والتحق بالجامعة الاميركية فــي بيروت ونال درجة بكلوريوس في الآداب والعلــوم السياسية ، وشغف بالصحافة منذ حداثة سنه ، ومال الى الكتابة الصحفية ، ونشر خلال دراسته في الجامعة الاميركية ببيروت بعض نفثاتــه القلمية فــي الصحف اللبنانية . وبعد تخرجه من الجامعة الاميركية عاد الى يافــا وشرع ينشر نتاج قلمه في امهات الصحف الفلسطينية مثل « فلسطين » و « الدفاع » و « الشعب » .

وفي عام ١٩٤٦ اصدر في القاهرة مجلــة اسماها « الوحــدة

العربية » فكانت في طليعة المجلات التي تبنت الدعوة الى فكرة الوحدة العربية في وادي النيل ، كما كانت منبرا للقضية الفلسطينية والدعاية لها . وفي هذه المجلة شجع « عميد » على الوعي القومي وتعبئة الرأي العام العربي لمناصرة القضية العربية الفلسطينية . ولقد اختار ان يصدرها في القاهرة ايمانا منه بان قاهرة المعز لدين الله ليست عاصمة مصر وحدها انما هي عاصمة العالم العربي باسره ، وان ما ينشر فيها من مقالات توجيهية يقرأ في سائر انحاء العالم العربي .

وفي مجلة « الوحدة العربية » هذه حارب « عميد » بقلمه النظام القائم عهد ذاك في مصر ، لكن الساهرين على ذلك النظام تنبهوا للاسلوب الذي درج عليه « عميد » في مجلته فامروا بتعطيلها عن الصدور . وبعد احتجابها رجع « عميد » الى يافا وزاول اعمالا خاصة وعاد ينشر مقالاته في الصحف الفلسطينية ويوافي جريدة « اخبار اليوم » القاهرية بالمقالات السياسية .

وبعد وقوع النكبة الفلسطينية الاولى (١٩٤٨) نزح « عميد » الى القاهرة واستقر فيها وعمل فيما بين عامي ١٩٤٩ سكرتيرا لتحرير مجلة « روز اليوسف » القاهرية .

وعندما قررت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ اصدار جريدة يومية تنطق باسمها في سنة ١٩٥٣ اختاره المسؤولون ليكون في عداد اعضاء هيئة التحرير التي كلفت تأسيس جريدة يومية فترك عمله في «روز اليوسف» في شهر ايلول من تلك السنة ، وشارك في اصدار جريدة «الجمهورية» اليومية التي صدر العدد الاول منها في القاهرة صباح ٧ – ١٢ – ١٩٥٣، وعمل سكرتيرا لتحريرها ثم اصبح نائبا لرئيس تحريرها . وفي عام ١٩٥٨ اعتزل العمل الصحفي المكتبي وقرر التفرغ للكتابة الصحفية .

وخلال عمل « عميد » في « الجمهورية » نشر تحقيقات صحفية عن البلاد التي زارها كما نشر مقالات في عدد من المجلات القاهرية بالاضافة الى « الجمهورية » التي يعمل فيها بانتظام . ومن هذه المجلات « التحرير » و « الرسالة الجديدة » و « الكاتب » ، وهذا الثالوث الصحفي كان يصدر عن « دار التحرير للطباعة والنشر » وهي الدار التي تصدر عنها « الجمهورية » . والكثير من مقالاته ترجم ونشر في جريدة « البورص اجبسيين » الفرنسية وجريدة « اجبشان جازيت » الانكليزية . وهاتان الصحيفتان تصدران عن « دار التحرير للطباعة والنشر » . وعلاوة على هذه الصحف كان ينشر مقالاته في مجلة « الجندي » الدمشقية و « المجلة » و « الشهر » القاهريتين .

ومعظم مقالاته المنشورة في الصحف مقالات سياسية تناول فيها « عميد » القضية العربية الفلسطينية ، كما ان له مقالات كثيرة في الادب والفن والفكر ، ودرج اسبوعيا على نشر « اليوميات » بانتظام في « الجمهورية » منذ سنة ١٩٥٤ ، وهي خواطر حرة وتعليقات غير مقيدة بموضوع معين ، تتناول مختلف الشؤون العامة ، وله مقالات تنشرها « الجمهورية » تحت عنوان « احاديث سريعة » .

ويكتب « عميد » بانتظام تعليقات وبرامج سياسية وثقافية لمختلف اذاعات القاهرة ، لا سيما اذاعة « صوت العرب » والاذاعة الموجهة باللغة الانكليزية ، واذاع له « صوت العرب » خلال عامي ١٩٦٥ و ١٩٦٦ برنامجا يوميا لطيفا تحت عنوان « قاموس العودة » ، وفي هذا القاموس سجل بالتفصيل تاريخ القضية الفلسطينية وتاريخ الحركة الصهيونية العالمية في مختلف ادوارها ومراحلها .

من آثاره القلمية – كتب « عميد » الكثير من المقالات ، وكثيرا ما تنقل وكالات الانباء العالمية مقتطفات من كتاباته ، وتنشرها في مختلف الصحف في العالم العربي وفي الخارج . ودونك اسماء ما وقفنا عليه من آثاره القلمية المطبوعة :

١ – الصلح مع اسرائيل – طبع عام ١٩٥٤ (اعيدت طباعة هذا الكتاب في السنة نفسها وفيه يناقش موضوع الصلح مع اسرائيل من خلال عرض شامل للقضية الفلسطينية) .

٢ – الافريقي وقصص اخرى – طبع عام ١٩٦٢ (ضم هذا الكتاب ملخصات لعدد من القصص الطويلة من الادب العالمي) .

٣ – اسرائيل – الدولة الفاشستية – طبع عام ١٩٦٧ (وضعه بالانكليزية ونشرته مصلحة الاستعلامات في الجمهورية العربية المتحدة).

٤ – هل باريس تحترق ؟ (مترجم) (وضعه الصحفي الاميركي لاري كولنز والصحفي الفرنسي دومينيك لابيير) .

نموذج من نثره : « في السادس من ابريل ١٩١٧ – وبعد طول تردد – دخلت الولايات المتحدة الاميركية الحرب العالمية الاولى في جانب الحلفاء ، ولكنها اعلنت الحرب على المانيا فقط في ذلك التاريخ، ولم تعلنها على تركيا حليفة المانيا ، وكان السبب في ذلك هو ان اميركا طمعت في اخراج تركيا من الحرب ، وفي اقناعها بعقد صلح منفرد مع الحلفاء ... وبذلك تحرم المانيا من شريكتها الكبرى ، وتجعل محاربتها أيسر .

وتنفيذا لهذه الخطة ، فكرت اميركا في ان تتقدم الى تركيا بعرض سري ، تقترح عليها فيه ان تعقد صلحا منفردا مع الحلفاء ، في مقابل ان يعترفوا لها بحق الاحتفاظ بكافة الممتلكات التي كانت تضمها الامبراطورية العثمانية ... وعرضت اميركا فكرتها على حليفتيها الرئيسيتين بريطانيا وفرنسا ، فوافقتا عليها .

ولكن بينما كانت موافقة فرنسا حقيقية وصادقة ، لم تكن موافقة بريطانيا الا موافقة صورية ! فلم تكن بريطانيا تستطيع ان تواجه حليفتيها برفض هذه الفكرة التي من شانها – لو نجح تنفيذها – تقصير أمد الحرب وزيادة احتمالات النصر ، ولكنها في الوقت نفسه لم تكن تريد لهذه الفكرة ان تتحقق ، لان تحقيقها كان يتعارض مع ما كانت تضمره من اطماع استعمارية ! فقد كانت بريطانيا تطمع في ان تستولي بعد الحرب على اجزاء عديدة من ممتلكات الامبراطورية العثمانية ، في مقدمتها « فلسطين » ... وكان تحقيق فكرة اميركا معناه حرمان بريطانيا من الحصول على ما كانت تطمع فيه .

ولم تكن بريطانيا تطمع فقط في وراثة بلاد كثيرة من تلك التي كانت تابعة للامبراطورية العثمانية في ذلك الوقت ... ولكنها كانت قد بدأت فعلا في اعداد المشروعات وحياكة المؤامرات التي تهدف على المدى البعيد الى تثبيت احتلالها لما تطمع في الاستيلاء عليه من مخلفات الامبراطورية العثمانية .

وكان على رأس تلك المؤامرات ، المؤامرة الرهيبة التي كانت قد وضعت أسسها بالاشتراك مع زعماء الحركة الصهيونية العالمية ، والتي كانت ترمي الى تنظيم تعاون الطرفين في استعمار فلسطين معا بعد انتزاعها من الامبراطورية العثمانية .

ولم تكن بريطانيا قد قبلت ان تشاركها الصهيونية في احتلال فلسطين في المستقبل بدون مقابل بطبيعة الحال ... ولكنها كانت تتطلع الى ان تعود عليها هذه المشاركة بمنافع جمة ، وفي مقدمة هذه المنافع ان يضمن لها تحقيق اطماع الصهيونية في فلسطين ، استمرار الاحتلال البريطاني لتلك البلاد لمدة طويلة جدا ... وان يضمن لها كذلك بقاء احتلالها للبلاد العربية الاخرى التي كانت تحتلها فعلا في ذلك الحين او تطمع في ان تحتلها بعد زوال السيطرة العثمانية عليها..

فقد كان محور الاتفاق البريطاني – الصهيوني ، الذي سجلته رسميا بعد ذلك ، الوثيقة التي اشتهرت باسم « وعد بلفور » والتي صدرت في الثاني من نوفمبر ١٩١٧ ، كان محور ذلك الاتفاق هو ان تفتح بريطانيا ابواب فلسطين لهجرة يهودية غير محدودة بعد احتلالها لها ، وان تمكن الصهيونية من انشاء وطن قومي يهودي فيها ، في مقابل عدة شروط اهمها :

أ – ان تساعد الصهيونية العالمية بريطانيا في الحصول على فلسطين بعد نهاية الحرب وذلك (١) بتاليب يهود العالم – بما فيهم يهود المانيا على المانيا وشركائها وحملهم على تأييد قضية الحلفاء (٢)

باستخدام النفوذ اليهودي لدى الحلفاء انفسهم في سبيل اقناع الحكومات الحليفة بالموافقة على التنازل عن فلسطين وجعلها من نصيب بريطانيا عند توزيع غنائم الحرب .

ب ـ ان تستغل الصهيونية نفوذها في اميركا ، لحمل تلك البلاد على دخول الحرب الى جانب بريطانيا وحليفاتها .

ج ـ ان تجعل الحركة الصهيونية الوطن القومي اليهودي المزمع انشاؤه في فلسطين ، قاعدة دائمة للاستعمار البريطاني في المنطقة .

وكانت الصهيونية قد بدأت من جانبها تنفيذ شروط الاتفاق حتى قبل ابرامه رسميا بصدور « وعد بلفور » .. فدعت يهود العالم الى الانحياز الى الحلفاء والى معاداة المانيا وشركائها ، كما لعبت دورا اساسيا في دفع اميركا الى دخول الحرب الى جانب الحلفاء .

وازاء وجود هذا الاتفاق السري بين بريطانيا والحركة الصهيونية العالمية ، وازاء طمع بريطانيا في الاستحواذ على فلسطين وعلى غيرها من البلاد العربية التابعة للامبراطورية العثمانية ... احست بريطانيا بالخوف من الاقتراح الامريكي الخاص بمحاولة اخراج تركيا من الحرب مع ترك امبراطوريتها لها ! وبمجرد ان تظاهرت بالموافقة عليه ، شرعت في البحث عن وسيلة لاحباط تنفيذه !

اما اميركا فقد شرعت في تنفيذ فكرتها بمجرد ان وافقت عليها حليفاتها الرئيسيتان بريطانيا وفرنسا . وفي شهر يونيو ١٩١٧ شكلت وفدا مهمته ان يسافر سرا الى اسطنبول عن طريق القاهرة ، ويعرض على حكامها الاقتراح الاميركي ، واسندت اميركا رئاسة هذا الوفد الى هنري مورغانتو سفيرها السابق لدى الحكومة التركية ، الذي كانت قد سحبته من اسطنبول قبل ذلك باسابيع قليلة ، والذي كان يعرف الاوضاع جيدا في العاصمة العثمانية كما كان يعرف حكامها ! »

٣ ـ علي هاشم رشيد

ولد « علي » في غزة هاشم بفلسطين سنة ١٩١٩ ونشأ في بيئة شعرية، فوالده من رواة سيرة عنترة بن شداد ، وشقيقاه : هارون واكرم شاعران ، وشقيقته « سهام » شاعرة وشقيقته الاخرى كاتبة أديبة !

أنهى شاعرنا دراسته الابتدائية في مسقط رأسه ودراسته الثانوية في المدرسة الرشيدية بالقدس سنة ١٩٤٠ وفاز بشهادة امتحان المعلمين الاعلى متخصصا باللغة العربية وآدابها ، وعمل مدرسا في معارف فلسطين وسلخ أربع عشرة سنة في بناء النفوس وتنشئة العقول .

في سنة ١٩٥٤ بارح غزة واقام في القاهرة ليعمل في اذاعة « صوت العرب » مشرفا على « ركن فلسطين » فرئيسا لقسم البرامج والتمثيليات الخاصة باذاعة « صوت العرب » فمديرا عاما لاذاعة « صوت منظمة التحرير الفلسطينية » في اذاعة « صوت العرب » فادى رسالته القومية على أحسن وجه ، واتصل بادباء فلسطين المنتشرين في بقاع الارض ، فزودوه بالوان من الادب الفلسطيني شعرا ونثرا وقصة ومسرحية ، وسهل له عمله الاذاعي الوقوف على الحركة الفكرية في دنيا العرب والاسهام في تيارها ومراقبة الاحداث السياسية التي لاحت تباشيرها في الافق العربي ، فغذت شاعريته ووسعت افقه .

مثل فلسطين في مهرجان الشعر المعقود في دمشق سنة ١٩٥٩ وفي مؤتمرات أخرى .

من آثاره القلمية : تفتحت شاعرية « علي » بعد النكبة على صور مفزعة للشعب العربي المشرد في فلسطين ، وعلى مناظر رهيبة للوطن السليب ، فتفجر بشعر يصور المأساة التي عاشها شعبه المنكوب ، وطاف على الجيل الفلسطيني المولود في خيام بالية مهلهلة ... بعيدا عن وطنه المغصوب ، بشعر يروي المؤامرة التي نسج خيوطها المستعمرون والسائرون في فلكهم ، وسجل قريضه بالآثار القلمية التالية :

١ ـ أغاني العودة (ديوان شعر) طبع سنة ١٩٦٠ .
٢ ـ رصيف الدموع (مجموعة قصص) ١٩٦٠ .
٣ ـ شموع على الدرب (ديوان شعر) ١٩٦٧ .
٤ ـ السبعة الذين شنقوا (قصة طويلة مترجمة) .

ولعلي الشاعر الآثار المخطوطة التالية :

١ ـ فجر الربيع (ديوان من الشعر الوجداني) .
٢ ـ الطوفان (ديوان شعر) .
٣ ـ سر الراعي (مجموعة قصص من تاليفه) .
٤ ـ قلب انسان (مجموعة قصص مترجمة) .

نماذج من شعره : دمرت النكبة كل عربي واع ... فكيف به اذا كان شاعرا كعلي هاشم رشيد الذي حطمته المأساة ، اسمعه يقول :

من شعوري وخاطري وجناني   خفقات ترف في أوطاني
يا صحابي عذرا اذا حطمتني   نكبة الوطن الحبيب المعاني
اننا أمة نعاف حياة   جرعتنا كؤوسها بالهوان
خنق الشدو في الفؤاد جراح   ودماء تسيل من أوطاني
فاذا المنطق الفصيح عيي   واذا بي وقد اضعت بياني
كنت بالامس شاديا أتغنى   وانا اليوم والانين شجاني
فبلادي مهد السنا والمعالي   حطمتها حبائل الطغيان
موطني ، والزمان يزخر غدرا   مزقت مجده يد الحدثان
بالدم الحر قد سقيناه حبا   وحميناه من هوى الشيطان
لهف نفسي على فخار تقضى   وطوت طيفه يد النسيان
قومي الغر شتتوا ليبادوا   وغزا الكفر كعبة الايمان
انا والوطن الحبيب جريحان   اصيبا وفي الشقا تائهان
وابلاداه صيحة تملأ الافق   وتدوي بلوعة الحرمان

وسفه « علي » قول من قال « ضاعت فلسطين ! » فهي عائدة باذن الله ... طال الزمان أم قصر :

لا تقل ضاعت فلسطين فما   بعدت عن عزمة للعاملين
ان نسر نحو حمانا بالفدا   سوف نلقى النصر وضاح الجبين
واذا شتتنا الباغي ففي   غدنا نمحوه بالنصر المبين
فاكتب الثأر بنار ودم   فالدم القاني مداد الخالدين

ومر « علي » بلاجئة فلسطينية تلفها الكآبة وتتشح بالاحزان ، فاشجاه منظرها الدامي وانشأ يقول :

تفتحت في قلبها الشجون
وهومت في نفسها الظنون
في ليلة مقرورة كئيبة كآبة الضياء
في الشمع حول ميت ... فقير !
تفتحت شجونها القريبة
وداعبت ظنونها البعيدة
وامتزجت في قلبها الصور وهومت فكر
من واقع تعيشه اليم وذكريات كلها نعيم
وامتزج الذكر مع الشقاء مثل امتزاج الليل بالضياء
لكنما كآبة الظلال في المساء
قد اطلقت في نفسها الشجون
في قلبها الحنون
فابصرت بانها تعيش لكنه العدم
فكوخها جدرانه صفيح
قد شفها البلا
فاصبحت وكلها ثقوب
وخلفها يزمجر الاعصار وتهطل الامطار
والكوخ لا تشع فيه نار
والام ضمت ابنة وحيده
يتيمة ... لاجئة ... شريده
كامها ... كشعبها ... طريده !

وضرب « علي » في متاهات الحياة ... واوغل في اسفاره ... وحمله الحنين الى بيت المقدس لزيارة الاقصى المحزون ... فانبرى يقول :

سمعت صوتا ممعنا في الحنين   يرف كالهمس بسر الوجود

يقول : هيا واخط عبر السنين   واكتب بآي الشعر سحر الخلود

وطار بي الشوق لارض السلام   ومهبط الوحي ومهد الكماه
نزلت بالقدس وسرب الحمام   يبث للازهار نجوى هواه

صليت في الاقصى وكان المقيل   تحت ظلال الدوح قبل الرواح
زيتونها يزهو بثوب الاصيل   والورد يرنو كابتسام الملاح

يا موطني يا قبلة العاملين   للثأر والعود رغم الطغاه
لن يطفىء الجذوة مر السنين   فتربك الطاهر انا فداه !

٤ ـ مصباح العابودي

ولد « مصباح » في مدينة طبريا بفلسطين عام ١٩٠٨ وتلقى مبادىء القراءة والكتابة وعلوم العربية والدين على والده المرحوم الشيخ سليمان العابودي ، وانهى دراسته الثانوية في مدرسة طولكرم الاميرية ، ثم ارتحل الى القاهرة ليلتحق بالازهر الشريف ، لكنه تحول الى كلية الآداب في جامعة القاهرة ، وعكف مدة ست سنوات على امهات كتب الادب والتاريخ في (دار الكتب العربية) ثم عاد الى فلسطين ليعمل في قطاع الصحافة الفلسطينية الا ان الظروف السياسية التي كانت تسود بلاده حملته على العزوف عن الصحافة ليعمل في القطاع الحر الى ان عين في بنك الامة العربية وبقي يعمل في هذه المؤسسة العربية حتى عام النكبة الاولى فهاجر عام ١٩٤٨ الى القاهرة والتحق باحدى كليات الازهر ونال شهادتها عام ١٩٥٥ . وفي اعقاب هذا العام عاد الى الاردن والتحق بوزارة التربية والتعليم وعين مديرا لثانوية الزرقاء ، وظل يتنقل بين أمهات المدن الاردنية مديرا للمدارس الثانوية ، وفي عام ١٩٦٢ عين مفتشا للغة العربية في محافظة القدس.

نموذج من نثره : وعلى هامش نكبة العرب في الخامس من حزيران كتب « مصباح » يقول :

« في الحياة امثلة كثيرة على مرونة طبيعة الانسان وقدرته على التكيف وفق مقتضيات الظروف .

ولئن تفاوت الناس في هذا المضمار فانما يتفاوتون فيه بقدر تفاوتهم بالمؤثرات التربوية العامة ، تفاوتا ما تكاد تمتد اليه يد الاحداث حتى تتركه بددا تتلاشى آثاره وتمحي معالمه . ولا احد يشك في اننا نحن العرب كغيرنا اعضاء فيما يسمونه ب « الاسرة الانسانية » وان ما يجوز على من يشاركوننا هذه الانسانية من احكام يجوز علينا .

اذن فنحن قادرون على هذا التكيف وفق مقتضيات ظروفنا الراهنة ، هذه الظروف التي لم تعرف مثل شراستها وضراوتها امة معاصرة من أمم هذه الارض ، وخير لنا ان نفعل الآن ما نقدر فعله بمحض ارادتنا واختيارنا ، فنفيد منه ، من ان نرغم غدا على فعله مع الخسارة الماحقة ، خسارتنا وجودنا كأمة وتاريخيا كتراث وأمجاد .

لنبدأ جميعا ساسة وجماهير رياضة طبائعنا بما يتفق وضراوة المعركة وشراسة العدو . لنتداع الى ان تكون على مستوى الاحداث وصعيد الخطوب ، فتختفي من نفوسنا ومن بين صفوفنا كل العوامل التي تكسب الخصم ثمرات النصر ، وتضع في يده كل أسلحة الغلبة .

ان موطن العلة في كل ما نعاني منه ، وفي كل ما دهمنا من مآس وويلات هو الخلق ، هذا الخلق الذي أصبح مرتعا خصبا لديدان مدنية الغرب العفنة ، وجراثيمها الفتاكة . ديدان اتت على هممنا ، وقتلت في نفوسنا كل معاني العزة والكرامة ، وأحالتنا رجالا ونساء الى دمى فارغة وقوارير هشة ، والى مستنقع من العواطف الرخيصة والرغبات الدنيا ، حتى كان من امرنا ما حصدناه اليوم من ذلة . وما لم نرعو فسنكون كلنا حصاده في الغد ! » .

نماذج من شعره : قرض « مصباح » الشعر في سن مبكرة ، وله ديوان ما زال مخطوطا ، وشعره تاريخ صادق للجهاد العربي بفلسطين، وديوانه حافل بالكثير من الشعر الوجداني والوصفي وشعر الاخوانيات.

أفزع « مصباحا » هذا القلق الشامل الذي يلف العالم ويجعل البشرية تعيش في دوامة من الاضطراب والهلع فصور هذه الظاهرة العالمية بقوله :

شعوب تذوب بفعل الحديد   واخرى تسير الى المعمعه
سماء تثور ، وأرض تمور   ودنيا لكف الفنا مسرعه
فسحقا لعلم شقينا به   ومرحى لجهل أمنا معه

وتطلع « مصباح » الى زحوف اللاجئين الفلسطينيين ... هائمين على وجوههم ، مشردين عن ديارهم ، فخاطب هذا الشعب الصامد الخالد بقوله :

لئن شردوك فلا تكتئب   وان عذبوك فلا تنتحب
وان أنكروك فصل ودهم   وخل اليهم كريم النسب
وحاذر فديتك ان تشتكي   صروف الزمان ووقع النوب
وصبرا جميلا على حكمها   فانك « كبش الفدا » للعرب

فيا موقدا جمرة المشرق   بمصر تلظى وفي جلق
ويا سيدا اعتق الموثقين   وما زال في القيد لم يعتق
يئن فيبكي الثرى تحته   وقلب العروبة لم يخفق

ثباتا فمثلك من يثبت   وتأبى الهزيمة روح البطل
فغيظك هذا الذي نكبت   سيغدو شواظا اذا ما اكتمل
وكهفك هذا الذي تنحت   لسوف يهز شغاف الجبل
ونشؤك فيه الذي تنبت   محط الرجاء ونبع الامل

بلادي (فديتك) لا تجزعي   كبار الاماني لمن يصبر
لئن كان في الوكر من يمكر   وان كان فيه الذي يغدر
فما زال فينا الذي يزأر   وما زال فينا الذي يثأر
شباب بحب الردى يفخر   ونشء يموت ولا يقهر

بلادي بنوك على عهدهم   وفاء بحبك يا غاليه
قلوب تذوب حنينا اليك ،   فما قط سال ولا ساليه
سترسلها مثل قصف الرعود   غدا صيحة صيحة عاليه
ففي كل قلب دماء تفور   ونفس تطير الى الغاشية
وفي كل برد صلاح وهند   يعدان للجولة الثانية

بلادي ! اطمئني فانا هنا   نصوغ اليك عقود المهج
بلادي ! استعدي ليوم اللقاء ،   فيوم اللقاء وليد درج

ولم ينس « مصباح » وهو الشاعر الرقيق العاطفة ان يصور « الشاعر » بشعر وجداني جاء (لوحة) غنية بالاصباغ ، حافلة بالتلاوين :

خفقة القلب وهمس الخاطر   وشجي اللحن دنيا الشاعر
جاء للدنيا كطيف عابر   ثم يمضي مثل طيف عابر

فهو احساس ونجوى ووتر   ترقص الدنيا على أنغامه
وهو ان فاه فانفاس السحر   او عبير الزهر في أكمامه

ومنها :

يسكب الروح على أعتابه   هادئا حينا ، وحينا ثائرا

سابح كالنجم في آفاقه   بين أطياف عذارى من رؤاه
بين جنبيه وفي اعماقه   سكرت بالحب اعطاف الحياه

ومنها :

فهو للناس على الارض ذكاء   تبعث الدفء ونور للبصر
وهو للمحزون سلوى وعزاء   ولصادي الروح ظل ونهر

عمان ـ الاردن   **البدوي الملثم**



محمد العدناني

اغلاط شائعة

بقلم محمد العدناني

* * *

خراف

ويجمعون الخروف على خراف (بكسر الخاء) . والصواب : أخرفة (بفتح الهمزة والفاء وتسكين الخاء وكسر الراء) وخرفان (بكسر الخاء وتسكين الراء) . أما الخراف (بكسر الخاء) فهو : وقت اختراف النخل . (اخترف الثمرة : جناها) .

خرنوب

ويخطئون من يستعمل كلمة (خرنوب) بدلا من (خروب) . وكلتا الكلمتين صحيحة . والخرنوب (بضم الخاء وفتحها لغية) ، واحدها (خرنوبة) بضم الخاء وجواز فتحها . اما الخروب فهو بفتح الخاء دائما .

خصوبة الارض

ويقولون : خصوبة الارض . والصواب : خصب (بكسر الخاء وتسكين الصاد) الارض ، أو اخصابها أو اختصابها .

نقول : خصب (بفتح الخاء وكسر الصاد) المكان يخصب (بفتح الصاد) خصبا (بكسر الخاء وتسكين الصاد) . وخصب (بفتح الخاء والصاد) يخصب (بكسر الصاد) خصبا (بكسر الخاء وتسكين الصاد)، فهو : خصب (بكسر الخاء وتسكين الصاد) ، وخصب (بفتح الخاء وكسر الصاد) ، وخصيب .

واخصب المكان ، فهو : مخصب (بضم الميم وكسر الصاد) . اما الارض المخصاب (بكسر الميم) ، فهي التي لا تكاد تجدب .

لا يختص به

ويقولون : هذا الامر لا يختص به . والصواب : لا صلة له بهذا الامر، أو لا شأن له به ، أو هذا الامر ليس من شانه .

فالعرب تخص الشخص بالامر ، لا الامر بالشخص . أما المعاجم فتقول عن الفعل (خص) : خصه بالشيء ، وخصصه ، واختصه ، واخصه فتخصص به واختص ، أي : فضله على غيره فانفرد به . (راجع الآية ١٠٥ من سورة البقرة) . ويقول لسان العرب : اختص فلان بالامر وتخصص له : اذا انفرد .

الخضار

ويقولون : فلان يحب الخضار (بضم الخاء) أو الخضروات (بضم الخاء) . والصواب : يحب الخضر (بضم الخاء وفتح الضاد) والخضر (بضم الخاء وتسكين الضاد) ، مفردها : خضرة (بضم الخاء وتسكين الضاد) . ويجوز أن يكون المفرد خضراء ، وجمعه خضراوات (بفتح الخاء) .

وقد قال صلى الله عليه وسلم : ليس في الخضراوات صدقة . يعني بها الفاكهة الرطبة والبقول . وهناك حديث آخر ورد فيه : أتي (بضم الهمزة) بقدر فيه خضرات (بفتح الخاء وكسر الضاد) ، أي : بقول ، واحدها : خضر (بفتح الخاء وكسر الضاد) .

خطاب

ويقولون : ألقى فلان خطابا بديعا . والصواب : ألقى خطبة (بضم الخاء) وجمعها خطب (بضم الخاء وفتح الطاء) ، لان الخطاب هو المكالمة ، او المواجهة بالكلام ، او ما يخاطب به الرجل صاحبه ، ونقيضه الجواب .

خطبة

ويقولون : أعلنت خطبة (بضم الخاء) فلان . والصواب : خطبه (بكسر الخاء) فلان ، أي : طلب زواجه بفتاة ، فهي خطبه وخطبته (بكسر الخاء فيهما) وخطبته (بضم الخاء) ، وخطيباه وخطيبته (بكسر الخاء والطاء المشددة فيهما) .

اما الخطبة (بضم الخاء وتسكين الطاء) فمعناها : (١) ما يلقى من على المنابر . (٢) خطبة الكتاب : مقدمته . (٣) لون كدر مشرب حمرة .

ولا نسمي الفتاة المخطوبة خطيبة ولا الشاب خطيبا ، بل نسميه خطبا (بكسر الخاء وتسكين الطاء) ، أو خاطبا .

خطير ، خطورة

ويقولون : موقف خطير . والصواب : موقف ينذر بالخطر او شديد الخطر ، لان لكلمة (خطير) معاني كثيرة ، منها الرفعة والشرف . فنقول : رجل خطير ، أي : رفيع الشأن ، شريف . ومثلها (خطورة) بضم الخاء ، فنقول : خطر (بضم الطاء) الرجل خطورة ، أي : كان شريفا ، وذا مقام رفيع .

رسم خطة

ويقولون : رسم خطة (بضم الخاء) للمستقبل . والصواب : خط خطة (بفتح الخاء في الاولى وضمها في الثانية) ، أو : اختط خطة .

خطف اللص الحقيبة

ويخطئون من يقول . خطف (بفتح الطاء) اللص الحقيبة ، ويقولون : ان الصواب هو : خطف (بكسر الطاء) يخطف (بفتح الطاء) . والحقيقة هي أن كلا الفعلين جائز ، ولكن المعاجم تقول بأن خطف (بفتح الطاء) يخطف (بكسر الطاء) جائزة ، ولكنها لغة قليلة رديئة، رغم أن الاخفش قد حكاها ، ورغم أن يونس ، وأبا رجاء ، ويحيى بن وثاب ، ومجاهدا قرأوا بها قوله تعالى في الآية ٢٠ من سورة البقرة.

اما جميع المصاحف التي بين أيدينا ، فتكتب الفعل خطف (بكسر الطاء) يخطف (بفتح الطاء) كما جاء في الآية العشرين من سورة البقرة ، وكما جاء في الآية ١٠ من سورة الصافات . لذا أرى أن

خطف (بفتح الطاء) يخطف (بكسر الطاء) جائزة ، ولكنها ضعيفة .

أسعار مخفضة

ويقولون : يبيع فلان أثاث بيته بأسعار مخفضة (بتشديد الفاء وفتحها). والصواب : يبيعه بأسعار مخفوضة او منخفضة او مختفضة . لان معنى : خفض الشيء: ضد رفعه. انخفض السعر او اختفض : انحط.

أما الفعل خفض (بتشديد الفاء وفتحها) ، فمن معانيه :

١ ـ خفض القول : لينه .

٢ ـ خفض الامر : هونه ، ومنه قولهم : « خفض عنك » ، أي : هون عليك .

٣ ـ خفض رأس البعير : مده الى الارض ليركبه .

تخفيض الراتب

ويقولون : عاقبوه بتخفيض راتبه . والصواب : عاقبوه بنقص راتبه ، لان التخفيض هو مد رأس البعير الى الارض . ويسمح لنا المجاز أن نقول : عاقبوه بخفض راتبه ، لان الخفض ضد الرفع . ومن يسمح بقول : رفعوا راتبه ، بدلا من زادوه ، عليه ان يسمح بقول : خفضوا راتبه ، بدلا من نقصوه . وما علينا الا ان نقول : نقصوا راتبه أو خفضوه (القاف والفاء في الفعلين مفتوحتان دون تشديد) ، دون أن نخاف العثار .

لا يخفى عن القراء

يقولون : لا يخفى عن القراء . والصواب : لا يخفى على القراء .

راجع الآية ٥ من سورة آل عمران . والآية ٣٨ من سورة ابراهيم. والآية ١٦ من سورة المؤمن . والآية ٤٠ من سورة السجدة .

وراجع التاج واللسان والصحاح والاساس .

ولا أدري على من اعتمد الشريف الرضي حين قال :

وتلفتت عيني ، فمذ خفيت عنها الطلول ، تلفت القلب

ولو قال : (بعدت) بدلا من (خفيت) ، لاستقام المعنى والوزن معا .

اما الفعل أخفى (بالالف المقصورة) فانه يعدى ب (عن) و (على) ، فنقول : لا أخفي (بضم الهمزة) عنك ، ولا أخفي عليك.

دار في خلده

ويقولون : دار في خلد (بضم الخاء وتسكين اللام) فلان ، أي : في باله أو قلبه أو نفسه . والصواب : دار في خلد (بفتح الخاء واللام) فلان كذا وكذا . وجمعه : أخلاد .

خلاسي

ويطلقون كلمة خلاسي (بضم الخاء) على الولد من أب أبيض وأم سوداء ، أو أب أسود وام بيضاء . والصواب : خلاسي (بكسر الخاء). ومنه الدجاج الخلاسي : الذي بين الهندي والفارسي . واستعمال كلمتي (خلاسي) هنا هو استعمال مجازي .

خلسة وخلسة

ويقولون : دخل المنزل خلسة (بكسر الخاء) ، وهذه خلسة فانتهزها. والصواب : دخل خلسة (بضم الخاء) ، وهذه خلسة (بضم الخاء ايضا) .

ومعنى الخلسة (بضم الخاء) : الفرصة السانحة . النهزة .

خلس الشيء يخلسه (بفتح اللام في الماضي وكسرها في المضارع) خلسا (بفتح الخاء وتسكين اللام) : سلبه بمخاتلة وسرعة وغفلة .

ومنه قولهم : الخلسة (بضم الخاء) سريعة الفوت ، بطيئة العود .

لا أخلاق له

ويقولون : فلان لا أخلاق له . والصواب : لا خلاق (بفتح الخاء) له. أي : ليس له نصيب وافر من الخير والافعال الحسنة المحمودة . راجع الآية ٧٧ من سورة آل عمران .

أما كلمة « الاخلاق » فتعني الصفات الحميدة والذميمة في الانسان ، وليس في الدنيا من لا توجد فيه بعض الصفات الحميدة أو الذميمة . وهنالك أحاديث كثيرة جاءت في مدح حسن الخلق كقوله (صلى الله عليه وسلم) : بعثت لاتمم مكارم الاخلاق . وهنالك أحاديث عديدة في ذم سوء الخلق .

وتأتي (الاخلاق) جمعا ل (الخلق : بفتح الخاء واللام) ، وهو البالي .

مباحث أخلاقية

ويخطئون من يقول : مباحث أخلاقية . ويقولون ان الصواب هو : مباحث خلقية ، لان البصريين يرون أن ننسب الى المفرد ، عندما نريد النسب الى جمع التكسير ، الباقي على دلالة الجمعية . فينسبون الى بساتين وكتبة ومدارس : بستاني وكاتبي ومدرسي .

فان لم يبق جمع التكسير على دلالة الجمعية ، بأن صار علما على مفرد ، او على جماعة واحدة معينة ، مع بقائه على صيغته في الحالتين، وجب النسب اليه على لفظه وصيغته ، فيقال في النسب الى القطر العربي الجزائر ، وعلماء ، وقراء ، وأخبار ، وأهرام ، ومماليك ، وانصار : جزائري ، وعلمائي ، وقرائي ، وأخباري ، وأهرامي ، ومماليكي ، وانصاري . ولا يصح هنا النسب الى المفرد ، منعا للابهام واللبس ، اذ لو قلنا : جزيري أو جزري (بفتح الجيم والزاي) مثلا، لالتبس الامر بين النسب الى القطر الشقيق الجزائر ، والنسب الى جزيرة او جزرة (بفتح الجيم والزاي) .

أما الكوفيون فيجيزون النسب الى جمع التكسير الباقي على جمعيته مطلقا ، سواء أكان اللبس مأمونا عند النسب الى مفرده (نحو : انهاري ، في النسبة الى نهر) ، أم غير مأمون (نحو : جزائري في النسبة الى بلاد الجزائر) .

وحجة الكوفيين أن السماع الكثير يؤيد دعواهم ـ وقد نقلوا من أمثلته عشرات ـ ، وان النسب الى المفرد يوقع في اللبس كثيرا .

وقد ارتضى المجمع اللغوي القاهري رأي الكوفيين ، وجاء في الصفحة الرابعة من محاضر جلسات المجمع في دور انعقاده الثالث :

« أن النسبة الى الجمع قد تكون في بعض الاحيان أبين ، وادق في التعبير عن المراد من النسبة الى المفرد » .

وقد تضمنت الصفحتان العاشرة والحادية عشرة من محاضر ذلك الدور الادلة العلمية ، والدواعي للقرار السالف ، وجاء في ختام تلك الصفحات :

« أهل الكوفة يخالفون أهل البصرة في مسألة النسبة الى الجمع برده الى واحده ، فيجيزون أن ينسب الى جمع التكسير ، بلا رد الى واحده » .

« وهذا هو الاصل العام ، فيقال مثلا في النسبة الى الملوك : الملوكي ، وفي النسبة الى الدول : الدولي (بضم ففتح) ، وفي النسبة الى الكتاب : الكتابي (بضم الكاف وتشديد التاء فيهما) ، فلا تستوي النسبة الى الجمع والنسبة الى واحده » .

« والمجمع انما ينسب الى لفظ جمع التكسير عند الحاجة ، كالتمييز بين المنسوب الى الواحد ، والمنسوب الى الجمع ... » .

فالمذهبان الكوفي والبصري صحيحان ، لا يفضل احدهما الآخر في سياق معين الا بالوضوح والبعد عن اللبس ، فاذا أمن اللبس ، فالافضل محاكاة المذهب البصري ، لانه اكثر في الوارد الفصيح .

صيدا ـ لبنان — محمد العدناني

قصة

غريب في وطنه

بقلم عبد الحميد الانشاصي

كان متمردا على الاعشاب المخضرة قليلا التي احاطت بجذع شجرة زيتون كثيرة الاغصان كثيفة الاوراق كأنها خيمة تأويه .
وكانت الطبيعة من حوله صامتة في جو مشبع بالغموض الشبيه بالوجوم ، الا من حفيف جناحي طائر كان ليتنقل بين الاغصان دون ان يسمع له تغريد . وكانت اشعة الشمس تغتنم فرصة انحسار بعض اوراق الشجرة عن القتيل المتمدد من تحتها بسبب هبوب النسيم اللطيف عليها ، ثم تنحدر تلك الاشعة متناثرة ومقسمة الى اقراص منيرة على جبينه وصدره كأنها قطع معدنية مدلاة من شرط او سمة جادت بها الطبيعة على ذلك الشهيد جزاء له على اعمال مجيرة قام بها . وكان جثمان الشهيد يقع على مقربة من مسلك شقه المزارعون العرب في بساتينهم واراضيهم لكي يتمكنوا من ان يصلوا الى ما يملكون من اراض وبيارات للقيام بأعمال زراعية فيها .

وكانت اصوات عدد من اولئك المزارعين تقترب من المكان الذي تمدد فيه الشهيد شيئا فشيئا ، والطيور تفر نافرة امامهم . وكانوا من حين الى آخر يتمازحون او يتحدثون عن حوادث غريبة وقعت لهم في ماضي حياتهم . ولما انتهوا الى البقعة التي تمدد عليها جثمان الشهيد صاح احدهم قائلا :

ـ ما هذا ؟

(ان هذا الرجل قتيل ، فان هناك دما يسيل منه) .

فتوقف المزارعون عن المسير .

وقال احدهم :

ـ ما المسألة ؟

ثم اشار الرجل الاول باصبعه الى الشهيد قائلا :

ـ انظروا ! هذا رجل قتيل .

فاتجهت نظرات الجماعة الى المكان الذي اشارت اليه الاصبع ، وقال بعضهم :

ـ قتيل ؟!

(اجل انه قتيل . هناك دم يسيل منه) .

ثم قال احدهم :

ـ لا شك انه قتيل ، فان دمه يسيل منه .

وتحلق المزارعون حول الشهيد ، واخذوا يجيلون انظارهم فيه .

« ـ ان الدم يسيل من فخذه .

ـ انه ميت ، لا شك انه ميت .

ـ انه رجل غريب ، ليس من ابناء هذا الجهات . ـ هذا الرجل ليس من المزارعين . ـ لعله لص . ـ من قتله ؟ ـ لماذا قتل ؟ ـ يجب ان نعرف من هو . ـ فتشوه لعلكم تعثرون على بطاقة هويته في جيبه » .

وامتدت يد احدهم الى صدره ، ثم انبسطت راحتها على قلبه ليتحقق صاحبها ان قلب الرجل ما زال يخفق وان صاحبه ما زال حيا . ولكن اليد لم تشعر بنبض . رفع الرجل يدي القتيل ثم تركهما ، فهوتا الى الارض في ضعف . ثم انه اغمض عيني القتيل وقال :

ـ انه ميت . ما في ذلك شك .

وبعد ذلك دس الرجل يده في معطف القتيل الداخلي ، واخرج بعض الاوراق المطوية وصورة لصبية حسناء لم يشك انها زوجة ذلك الرجل . ثم وقع نظره على بطاقة ، ففتحها فبدت له صورة القتيل وقد فاض وجهه صحة ونظراته ابتساما وشبابا وعزما . وقد بدت على وجهه سمات الاناقة والوجاهة والتهذيب . وقرا اسمه في البطاقة بصوت مرتفع : « جواد القادري » . فتحلق المزارعون من حوله ، وراحوا يحدقون في صورة القتيل . ثم قال صاحبهم بصوت مرتفع ايضا : « من مدينة رام الله » . وقد حاول احدهم ان ينتزع البطاقة من يده ، ولكنه لم يتمكن من ذلك فقد كان صاحبه ممسكا بها في قوة . ثم نشر هذا الاوراق المطوية بين يديه ، واخذ يقرأ بعض ما كتب فيها بصوت غير مسموع ثم قال : « اهذا رجل فدائي . وهذه مذكراته » . والقى نظرة سريعة على ملابس القتيل ثم قال : « ولكن ملابس الرجل ليست ملابس فدائي » . ثم فتش ثيابه فوق خاصرتيه فلم يجد شيئا من الاسلحة ـ لا مسدسا ولا خنجرا ـ واخيرا جعل يقرا مذكرات الشهيد بصوت مرتفع ، واصحابه يستمعون اليه :

في ١٥ ـ ١٠ ـ ١٠٦٨

« لقد ذكرتني مدينة رام الله بمسقط راسي . كثيرا ما وقفت على احد مرتفعات هذه المدينة ، واطلقت نظرة طويلة نحو مسقط راسي ، فوقعت عيناي على بعض الابنية الشامخة فيها : المئذنة وجرسية الكنيسة . ثم اطلقت تنهدة عميقة حارة في صمت وتألم . انني اذكر كل شيء في مسقط راسي وان كنت صبيا حينما خرجت منها بعد سقوطها في يد الاعداء . انني اذكر دارنا الفخمة وبيارتنا الواسعة الفناء وبستاننا الحافل باشجار المشمش والكروم والتين والجميز والبرقوق والتفاح واللوز . مرارا ذهبت مع اصدقائي من اولاد حينا الى بستاننا وقطفنا بعض الاثمار الشهية . مرارا اصطفنا فيه انا ووالداي واخوتي . وكنت اضطجع على رمله الاحمر النقي واترجح في ارجوحة بين غصنين من اغصانه . وانا اليوم اقيم بعيدا عن

مسقط راسي ، وارى هنا من حين الى آخر بعض الاسرائيليين يروحون ويغدون تارة في سياراتهم العسكرية واخرى مشاة . وحينما انظر اليهم اشعر بغصة في نفسي وبثورة في قلبي تحفزني الى الانتقام من اولئك الذين شردوني انا وامي واخوتي . كان ابي ، وهو مدفون في مقبرة مسقط راسي ، ما زال حيا يدعوني الى العودة اليه ، فانني افكر كثيرا في منزلنا الذي اخليناه هناك ، وتتردد ذكريات المقبرة الى ذهني .

لن انسى تلك الايام التي كنت اذهب فيها مع رفاقي الى اشجار السدر النابتة في المقبرة فنقطف عنها ثمارا حمرا ناضجة وناكلها . وكانت امي تحذرني من قطف شيء من اثمار شجرة السدر التي تظلل قبر والدي . ولما سألتها ما السبب لم تذكره لي . ان الكنز الذي يدخره الانسان في سني طفولته هو ساعات اللعب والماكل ، والكنز الذي يدخره في سني شبابه هو متع الحب ، وكنزه في عهد رجولته هو النجاح والتغلب على المصاعب ، وكنزه الذي يحتفظ به في عهد شيخوخته هو الخبرة والتجارب » .

في ٢ ـ ٥ ـ ١٩٦٩

« لم استطع ان اغضي على ذلك النداء الذي يدعوني الى القتال . لماذا يقاتل الفدائيون وانا ساكت اتسمع اخبارهم ؟ أليس من واجبي ان البي نداء الوطن وافتك بالاعداء الذين فتكوا بنا مرارا ؟ كيف ارضى انا وامثالي المتقاعسون عن القتال ان يخوض عدد معلوم من ابناء وطني باسم الفدائيين معارك ضارية مع العدو دون ان نشاركهم في مهمتهم؟ انهم لا يفتدون وطنهم بارواحهم فحسب بل يفتدون عددا كبيرا من المواطنين الكسالى او الجبناء ايضا. هل نحن قطع جامدة تؤلف اجزاء من الارض الجامدة ؟ اننا بذلك نخون امنا الارض التي خلقنا منها ، وعدم افتدائنا اياها معناه التفريط فيها وعدم الاهتمام بها . لقد تعرفت بفدائي شهم، وطلبت منه ان يعطيني بعض الاسلحة لمقاومة الاعداء وان يدربني على استعمالها . فأعجب بحماستي ، ولم يجد في ذلك بأسا » .

في ١٢ ـ ٨ ـ ١٩٦٩

« واخيرا تدربت على استعمال المسدس والرشاش وقذف القنابل اليدوية وزرع الالغام . خرجت من المدينة متلثما ، ومشيت مسافة طويلة مبتعدا عنها . ولما انتهيت الى الطريق التي تؤدي الى معسكر الاعداء زرعت لغما فيها ، ثم مضيت



عبد الحميد الانشاصي

★

الى شجرة ضخمة لفاء ، واختبأت خلف جذعها . وانتظرت ريثما لاحت لي سيارة قادمة من بعيد ، واستعددت لاطلاق الرصاص اذا اضطررت الى ذلك . ولما اقتربت السيارة وجدتها مدنية . وكان ركابها من العرب . فوقفت في عرض الطريق وصحت بأعلى صوتي قائلا : « قفوا ! قفوا ! قفوا مكانكم ! »

ثم اشرت لهم الى طريق فرعية ، وطلبت منهم ان يسيروا بسيارتهم فيها مبتعدين عن الطريق الرئيسية مؤقتا اذ لا بد ان يعودوا اليها بعد قطع مسافة قصيرة من الطريق الفرعية . ولم يسألوني ما السبب في ذلك فقد وقعت عيونهم على الرشاش الذي تنكبته ، وادركوا انني من رجال المقاومة . ولما مضت السيارة عدت الى الشجرة واختبأت وراءها . وبعد مضي نحو نصف ساعة قدمت سيارة عسكرية ، فشعرت بغبطة عظيمة ، واستعددت لاطلاق النار ان اقتضى الامر ذلك. وما هي الا بضع دقائق حتى سمعت دويا هائلا ، ورايت قطع السيارة واشلاء الركاب تنطلق متناثرة في الهواء في جو من اللهب والدخان . شعرت في تلك اللحظة ان جانبا كبيرا من همومي قد اختفى من ذهني ، فان بعض همومي قد تمثل في تلك السيارة المحطمة » .

في ٧ ـ ٩ ـ ١٩٦٩

« في هذه المرة احتطت للامر . عدلت عن زرع الالغام في طريق المعسكر لئلا تقع سيارة ركابها من العرب في فخ اللغم . صممت في هذه المرة على استعمال القنابل . اختبأت وراء صخرة مشرفة بعيدة عن المكان الذي تحطمت فيه سيارة الاعداء وقريبة من الطريق وانتظرت، وبعد ربع ساعة تقريبا رايت احد الجنود الاسرائيليين يقترب مني ، فاستغربت مجيئه الي . قلت له : « ماذا تريد ؟ » . فقال في هدوء : « اعطني بطاقة هويتك » .

ـ « لماذا ؟ » .

ـ « اريد ان اطلع عليها » .

اخرجت البطاقة من جيبي وناولته اياها . ولما فتحها واطلع على اسمي وصورتي قال : « تعال معي » .

ـ « الى اين ؟ » . وقبل ان تمتد يده الى مسدس موضوع على جنبه تناولت مسدسي واطلقت عليه ثلاثة عيارات نارية اردته قتيلا . ثم جررت جثته الى حفرة والقيتها فيها ، وقلت في نفسي : « ان احد

الواشين اطلع السلطات الاسرائيلية على حقيقة امري » . ولكنني لم افقد شجاعتي بل عدت الى الصخرة التي كنت مختبئا وراءها . وبعد قليل قدمت سيارة عسكرية كبيرة فقافلت من فيها من الجنود وقذفت عليها قنبلتين يدويتين قتلتا وجرحتا عددا كبيرا من الجنود . وسمعت بعض الرصاص يطلق نحوي ، ولكنني فررت وتمكنت من النجاة» .

في ٢٠ - ١٠ - ١٩٦٩

« ان نشوة الانتصار على اعدائي حدثني على الفتك بعدد آخر منهم . وفي ذات يوم كنت أسير في احد الشوارع ، ولم اكن في ذلك الوقت مسلحا . وما هي الا دقائق معلومة حتى رايت شخصا مرتديا ملابس مدنية قادما نحوي . ولما ناداني طلب مني ان اقف . وسمعت صوت رجل آخر يصيح من ورائي : « اياك ان تهرب . ان هربت قتلتك في الحال » . فلم اجد بدا من الاستسلام . وقد تبين لي بعد ذلك ان الرجلين هما جنديان اسرائيليان متخفيان ببدلتين مدنيتين . مضيا بي الى السجن لتعذيبي كما يعذب غيري من رجال المقاومة .

ولما دخلت السجن وضعت في غرفة مظلمة كريهة الرائحة قذرة الارض . ثم جاءني احد الاسرائيليين المحققين ، واخذ يستجوبني بنغمة هادئة تبدو ودية ، ولكنه لم يفز بطائل ، فلم يجد بدا من تهديدي . ولكني لم اعبأ بتهديده . جردني بعض رجال الشرطة من ثيابي واخذوا يلذعون جسمي بأطراف السجائر المتقدة . فشعرت بألم شديد ولكنني صبرت . ثم انهم ضربوني بالسياط ، فالتهب جسمي من الضرب ، وكدت اقع مغمى علي . وبعد ذلك اراحوني قليلا ، وعاد المحقق لاستنطاقي . غير ان ذلك لم يعد عليه بنفع ، فضربني رجال الشرطة بقضبان من الحديد . فشعرت ان عظامي تتكسر تحتها ، ووقعت على الارض منهوك القوى ضئيل الحركة وكدت اعترف . ثم اراحوني بعض الوقت ريثما استرد وعيي .

وبعد ساعة عاد المحقق الي مرة ثالثة ، غير انه فشل في مهمته . وفي هذه المرة اطلقوا علي كلبا شرسا ضخما . وكنت قد استرددت جانبا كبيرا من قواي . فقاومت الكلب في شجاعة غريبة لم اكن اتوقعها . وراح رجال الشرطة يضحكون من الصراع الذي جرى بيني وبين الكلب . غير انني اصبت بخدوش عميقة في اجزاء عديدة من جسمي . ولما اظهرت لرجال الشرطة ثباتا غريبا امام الكلب ذروا الملح على جروحي واخذوا يفركونه في قوة فصحت متألما . وبعد بضع دقائق اعيد التحقيق ، ولكن بلا جدوى . واخيرا وضعوني في حفرة في مثل طولي ارتفاعا ، ثم طمروا جسمي بالتراب ما عدا راسي فقد ابقوه خارج الحفرة ، وراحوا يركلون راسي باقدامهم ويبصقون علي . وقد شعرت باختناق شديد وبضيق لا مثيل له . واخذت اصيح بصوت مختنق . احسست بأنه لم يبق بيني وبين الموت سوى لحظات ، وان الحفرة التي القيت فيها هي في الواقع قبري وقد دفن جسمي فيها ولم يبق الا ان يدفن راسي . وكدت انفجر من الضيق والغيظ . واستغربت ان تبلغ الوحشية بمعذبي هذا المبلغ .

ان التحقير الذي صبوه علي والوان العذاب التي اذاقوني اياها حولتني الى كتلة ضخمة من السخط ، ولو كنت في تلك الساعة منطلقا خارج الحفرة لهجمت على اعدائي لاخنقهم جميعا دون ان ابالي بالنتيجة . ولكن عجزي عن القيام بذلك العمل ويأسي من تخلية سبيلي كادا يطلقان صوتي بكلام اعدهم به ان اعترف بكل شيء . غير انني عاهدت نفسي ان افتدي الوطن بروحي . ليقتلوني . ليميتوني . لقد استشهد كثيرون من رجال المقاومة من قبلي . فلأمت كما ماتوا . لقد قمت بواجبي وفتكت بعدد كبير من الاعداء فاستراحت نفسي . فان مت مت مستريح البال مطمئن النفس .

واخيرا ازالوا عني التراب واخرجوني من الحفرة ، ومضوا بي الى حجرتي في السجن . وعاد المحقق الي وبذل جهدا عظيما في اقناعي بضرورة الاعتراف له بما فعلت . ولكنني اكدت له انني بريء من ذلك . فلبثت في السجن خمسة اشهر . ولما عجزوا عن الفوز بدليل يثبت ما اسندوه الي من التهم خلوا سبيلي » .

في ٥ - ٤ - ١٩٧٠

« لقد ظننت انني افلت من السلطات الاسرائيلية ، ولكنني ما لبثت ان ادركت انهم يتتبعون اخباري ويسعون لانزال المزيد من التعذيب بي . منذ يومين نسفوا منزلي الذي شيدته بالمال الذي خرجت به من مسقط راسي وبالمال الذي اكتسبته من الاتجار بالملابس الداخلية وقطع الملابس الصغيرة في « رام الله » . وها قد اصبحت بلا مأوى . ومما زادني الما ان منزلي تهدم على جميع ما فيه من أثاث وعلى نقودي التي خبأتها في خزانتي . وفقدي لمنزلي في رام‌الله ذكرني بمنزلي الذي فقدته في مسقط راسي . فصممت على وضع زوجتي واولادي في منزل احد اخوتي مؤقتا ريثما اسافر الى مسقط راسي لاتفقد منزلي هناك وارى ما حل به وببيارتنا وبستاننا واراضينا » .

في ٤ - ٦ - ١٩٧٠

« سافرت الى يافا ومنها الى

مسقط راسي . تجولت هناك قليلا، ثم توجهت الى منزلنا لارى ما حل به . كنت اسير في شوارع الحي في بطء متلفتا حولي في انتباه واهتمام . لم يقع نظري على باعة الهريسة والنمورة من العرب الذين كانوا ينادون على بضاعتهم قبل ان يحتل الصهاينة القسم الغربي من فلسطين . لم اسمع صوت محمود أيوب وهو يدعو الاطفال الى شراء قضبان الحلوى منه بصوته الجهوري الرنان . رأيت بدلا منهم رجالا ونساء غرباء يروحون ويغدون بوجوههم البيض وقبعاتهم وبنطلوناتهم الكاكية القصار . لم اصادف في طريقي احدا من المزارعين الذين كانوا يقصدون اراضيهم لفلاحتها وزراعتها ، او يعودون منها بأحمال من الحطب او الاغصان محمولة على دوابهم . لم ار اطفال الحي وهم يلعبون في الشوارع والساحات في فرح وابتهاج .

مشيت في الشارع الذي يقع فيه منزلي ، ولكنني لم التق احدا من جيراني : ابي يوسف العاملي وعثمان حسنين ولطفي رشاد وهم خارجون من منازلهم لمزاولة اعمالهم او عائدون اليها لقضاء حاجات لهم . المنازل كما هي لم يتغير منها شيء سوى الاصوات العربية التي كانت تعمرها . سمعت الآن اصواتا يهودية تملأ اذني . شعرت انني غريب وان كانت المنازل التي حولي عربية الحجارة والابواب والنوافذ . وقفت امام منزلي مجيلا بصري في جدرانه وبابه ونوافذه . انه كما هو . غير انه اضحى الآن ملك رجل آخر بعد ان كان ملكنا . ومما غاظني انه ليس في امكاني ان ادخل داري واتفقدها . لقد اشتقت الى الجلوس في غرفة الاستراحة التي تعودت الجلوس فيها ، والى الاضطجاع في غرفة النوم التي تعودت ان انام فيها . ترى ماذا جرى لسريري ولخزانة ثيابي وطاولة الطعام والكنبات والكراسي التي الآن فيه ؟ وهل اشجار الحديقة المثمرة كما هي ؟ هل النباتات المزهرة على ما كانت عليه من قبل ؟

انطلقت التنهدات العميقة من فمي ، وحبس شيء من الدمع في عيني . ثم ادرت وجهي عن المنزل في تألم ، وسرت مبتعدا عنه ومتوجها نحو بستاننا واراضينا الواقعة في خارج المدينة . بلغت البستان وكلي شوق الى قطف شيء من اثماره . ألقيت نظرة على ارضنا الملاصقة له فوجدتها زاخرة بسنابل القمح الشقر . وكانت تتمايل في بطء كرؤوس مثقلة بالاحزان . تجولت في البستان وقطفت قليلا من المشمش واخذت التهمه في لذة وشره . لم أجد في البستان احدا من الصهاينة . تفقدت الكروم وشجرة الجميز الضخمة واشجار التوت وتناولت شيئا من ثمارها . وتفقدت شجرة التين التي كنا نصطاف تحتها . ثم جلست على الرمل الاحمر النظيف كما كنت افعل وانا طفل ، وتناولت منه ملء كفي واخذت اتأمله في شوق وغبطة واعجاب .

وبعد ذلك خرجت من البستان ، ورحت اتفقد ارضنا المزروعة قمحا. ان هذا القمح لقوم غرباء ولكنه نابت من أرضنا . واخذت اتساءل في نفسي : « بأي حق ينبتون هذا القمح من ارضنا ؟ انهم يستغلون ارضا ليست لهم . انني لا اطيق صبرا على رؤية هذا القمح نابتا من ارضي » . ثم خطرت لي فكرة . لم لا احرق هذا القمح كله . يجب الا ادع الاعداء يستفيدون منه . ثم اعملت فكري مليا وتخيلت المسجد الاقصى واللهب والدخان يتصاعدان منه . لقد غاظني ان يتمكن الاعداء من احراقه . حريق المسجد الاقصى حفزني الى احراق سنابل القمح . نعم لا بد من احراقها فهي نابتة من ارض عربية . اخرجت علبة الكبريت من جيبي ، ثم تناولت منها عودا واشعلته . وبعد ذلك القيته على سنابل القمح الجافة فسرت النار فيها في سرعة مدهشة . راحت النار تلتهم السنابل وسيقانها زاحفة على الارض ونافثة دخانها في السماء . وكنت واقفا اتفرج على الحريق مغتبطا متشفيا .

واخيرا ظهر رجل ــ لم اشك انه اسرائيلي ــ في الجانب الآخر من الارض ، فرأى ما جرى للزرع . ولما وقع نظره علي صاح قائلا : « ماذا تفعل هناك ؟ » . ولكنني لم اجبه . ثم وليته ظهري وفررت عائدا . فأطلق علي رصاصتين اصابتني احداهما في فخذي ، فلم استطع مواصلة الركض ، ثم اضطررت الى التمدد على الارض والدم يسيل من فخذي . غير انني ما زلت قادرا على كتابة مذكراتي حتى اللحظة الاخيرة وان آلمني جرحي واصابت يدي رعشة الضعف . وذيلت مذكراتي بكلمة وجهتها الى من يصادفني في طريقه بعد موتي ورجوته فيها ان يدفن جثماني في قبر ابي . وقد وصفت القبر وموقعه من المقبرة . ثم طويت اوراق مذكراتي ووضعتها في جيبي الداخلي في صعوبة ، وانتظرت اللحظة التي افارق فيها الحياة . وكنت في تلك اللحظة راضيا عما قمت به من واجب تجاه وطني ، ومرتاح النفس لاضطلاعي بالمسؤولية التي القيت على عاتقي » .

لم يكد المزارع يفرغ من قراءة المذكرات وذيلها حتى انقبضت وجوه اصحابه من شدة الاسى والاسف ، وجعل بعضهم ينظر الى بعض مثنين على الاعمال المجيدة التي قام بها الشهيد ، جواد القادري ، ومرددين كلمات ملؤها الاسى والاسف على موت ذلك الشاب المقدام الذي ضحى بنفسه في سبيل مبدئه وخدمة امته . واخيرا حملوا جثمانه وعادوا الى المدينة ليدفنوه في القبر الذي دفن فيه والده .

عمان ــ الاردن   عبد الحميد الانشاصي

مكتبة الاديب

وفيات الاعيان

تأليف ابن خلكان ـ تحقيق الدكتور احسان عباس ـ المجلد الاول ـ ٤٩٢ صفحة ـ منشورات دار الثقافة ببيروت ـ مطبعة الغريب ببيروت

وفيات الاعيان كتاب جليل ـ ولا أزيد . وقد طبع مرارا دون أن تتهيأ الطبعة اللائقة به . وكان استاذنا الدكتور مصطفى جواد يستحسن طبعة طهران . اما الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد مفتش العلوم الدينية والعربية بالجامع الازهر فقد استغله ـ شأنه ـ عفا الله عنه .

اما طبعة وستنفلد (١٨٣٥ ـ ١٨٥٠) ففيها شرائط التحقيق العلمي ، ولكنها اصبحت قديمة ، عرف بعدها من المخطوطات الكثير ، وجد من المصادر الاكثر . ولو كان وستنفلد حيا في زماننا لما ارتضى لطبعته ان تقف حيث وقفت ولاتحفنا بجديد يعتمد مخطوطات جديدة .

وظل الناس بانتظار الطبعة المتقنة الكاملة ، ولعلهم يأملون أن تتضافر جهود مجموعة من المحققين لانهم يعلمون ان وفيات الاعيان خضم متلاطم الامواج . وظلوا ينتظرون وكانت فجيعتهم بمصطفى جواد مما عكر هذا الانتظار وكدره .

والدكتور احسان عباس باحث محقق معروف ، ولم تكن لتشغله الاندلس عن العلم بقدر « الوفيات » وحاجة الناس اليه . فتصدى للامر وحده ، ولا بأس ، فان الرجل متعدد النواحي كثير الصبر عارف بالمصادر ... ولكن الخشية فيه ان تكون وراءه دار نشر تستعجله لعلمها بالسوق وجهلها بالعلم . وقد حدث هذا كثيرا ، ولكن المسألة مع الدكتور احسان عباس تبقى أقل خطرا ما هي عليه مع غيره ، فجاء المجلد الاول من تحقيقه الوفيات مقبولا وكان ممكنا ان يكون جيدا وجيدا جدا .

اعتمد الدكتور احسان عباس طبعة وستنفلد اساسا رئيسيا لعمله أو انه لم يتخذ غيرها ولم يحد عن نهجها ، ولكنه بدل أن يصورها بالاوفست زاد عليها فوائد الضبط بالشكل لاشياء يحسن شكلها ، وهوامش على التراجم تبين أهم المصادر الاخرى لتلك الترجمة قبل ابن خلكان وبعده ، ومقابلة هنا ومقابلة هناك .

هذا مقبول ومطلوب ، ولكنه دون المنتظر من الدكتور احسان عباس ، وكان الموقف يقتضي قليلا من الانتظار وقليلا من البذل ، وان يصدر المجلد الاول سنة ١٩٧٠ (او بعدها) بدل ان يصدر سنة ١٩٦٨ . وفي هذين العامين ما يلزم النضج وخدمة الباحثين والمحققين والقارئين . واذا استوفى الوليد مدة الحمل جاء سليما معافى ... صحيحا ، وسار نموه كذلك : تعب قليل في البداية يوفر وقتا وجهدا في المجلدات التالية .

ماذا كان يمكن أن يعمل الدكتور احسان عباس خلال هذين العامين ؟ أشياء كثيرة . منها ، من أهمها : العلم بالنسخ المخطوطة في العالم ، وجد في الحصول على صور لها ربما في ذلك ما يمكن الحصول عليه من نسخ وستنفلد ـ وهذه النسخ موجودة في المكتبات، معروفة في انكلترة وتركية والقاهرة وغيرها، واذكر اني رأيت منها شيئا ينفع في باريس وطهران .

ولم يعد الحصول على صور للنسخ مستحيلا ، كما لم يعد التحقيق دون الاطلاع على المخطوطات ودراستها واعتماد الاصح منها ... تحقيقا .

وفي هذين العامين ، يدرس الدكتور احسان عباس الطبعات السابقة ـ وليكن عددها ما يكون ، لان قارىء الطبعة الجديدة يريد ان يعرف فضل طبعة على أخرى ونقص طبعة عن ثانية . ثم ان المحقق قد يجد في هذه الطبعات ما لا يجد في المخطوطات التي بين يديه . وقد يجد فيها من الخطأ ما يرى أن ينبه القارىء اليه .

وفي هذين العامين ، يدرس الطبعة التي ازاءه ، أي طبعة وستنفلد ، فقد يرى في ترتيبها ما يحسن أن يتدخل فيه ، لا سيما انه لا يعتزم اعادتها كما هي ، وانما هو يعيدها كما يريد ان ينتفع بها القارىء . وقد يرى ان يعيد الملحقين الذين وضعهما وستنفلد ـ لظروف خاصة ـ في آخر الكتاب الى صميمه موزعا اياهما على المواد المتصلة بها او في ذيل قصير لتلك المواد ـ بعد التأكد من صحتها ، بالطبع .

ثم يدرس طبعة وستنفلد ، فقد يرى فيها اشياء أخرى ، وقد يضرب عن ان يتخذها أساسا. ولم يتخذها أساسا وهو يعتزم التحقيق؟ والتحقيق لا يعتمد المطبوعات . ولم يتخذها ؟ وقد توافرت لديه ـ خلال البحث والعمل والانتظار والتأمل ـ مخطوطات تكفي لان تكون هي الاساس ، وتكون ـ معها ـ طبعة وستنفلد مساعدا يرجع اليه استئناسا .

ولكن المجلد الاول من « وفيات الاعيان » قد صدر على الشكل الذي صدر عليه : طبعة وستنفلد مع فوائد . ولم يكن الدكتور احسان عباس غير مدرك لمتطلبات معنى التحقيق الصحيح وطلبات القراء العارفين ، مما دفعه الى القول انه بذل جهدا في الحصول على مخطوطات أخرى ، وانه استأنس في مراجعة المجلد الاول من عمل وستنفلد بالمخطوطة التي رمز اليها بالحرف « م » (نسخة المتحف البريطاني ، رقم ١٥٠٥ ...)

ولكن هذا لا يقنع أهل العلم ، بل انه قد يفتح باب الملاحظة على مصراعيه ، لانه لو قال اني وجدت تحقيق وستنفلد جيدا فعملت على ان اقدمه للقارىء كما هو مع فوائد مناسبة ، لما طالبه مطالب بالزيادة. أطالبه مطالب يوم أعاد ـ بالاشتراك مع الدكتور محمد يوسف نجم ـ طبع « الشعر والشعراء » بتحقيق دي غويه ؟ اما وقد قدم وفيات الاعيان على أنه تحقيق ، وانه جد في البحث عن المخطوطات ، وانه وجد منها ما رمز اليه بالحرف « م » ... فقد عرض نفسه للمطالبة بالشرائط .

ثم أين هي الاستفادة من النسخة « م » ؟ اين هي « م » في الحواشي ؟ تبحث عنها فلا تراها ـ ولا تكاد تراها ان اردت الاحتياط لنفسك .

وتسأل ، وتطالب بأشياء أخرى يجرك الى المطالبة بها النهج الذي اختاره المحقق في التحقيق .. ارجو ان يتسع الوقت لبيانها اسهاما بالممكن في خدمة « وفيات الاعيان » وطمعا بالاقتراب من التحقيق الامثل . والا فالدكتور احسان عباس علمه وخبرته وذكاؤه ، وان كنا نود لو كان خضوعه لاصول التحقيق أقوى من استجابته لدار النشر .

الا ان بالمجلد الاول من وفيات الاعيان حاجة الى اعادة الطبع محققا . وقد يتولى الدكتور احسان عباس نفسه هذه المهمة . ولم لا ؟

بغداد ـ كلية الآداب — علي جواد الطاهر

فلسطين في الشعر النجفي المعاصر ١٩٢٨ ـ ١٩٦٨

تأليف محمد حسين الصفير ـ (؟) صفحة ـ دار الصادق ببيروت١٩٦٨

شهدت السنوات العشر الاخيرة محاولات متعددة لدراسة صدى مأساة فلسطين في الادب العربي المعاصر ، وملامح المقاومة فيه ، وفي مقدمتها: « في شعر النكبة » لصالح الاشتر (دمشق ، ١٩٦٠) ، و « الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين » لكامل السوافيري (القاهرة : ١٩٦٤) ، و « أدب المقاومة في فلسطين المحتلة ١٩٤٨ ـ ١٩٦٦ » لغسان كنفاني (بيروت : بلا تاريخ) ، و « ديوان الوطن المحتل » جمعه وقدم له يوسف الخطيب (دمشق : ١٩٦٨) . ولعل من اهم متطلبات دراسة فبيرة ، أن لم تبن كل شيء بالنصوص الادبية ، محاولين الوقوف على ما قيل في المأساة من قصائد ، او الف من قصص وروايات ومسرحيات وغيرها من الاعمال ، سواء نشرت في كتب مستقلة ام تناثرت في الصحف والمجلات . ونحن لا نزال نفتقر الى محاولة شاملة لمسح ادبنا المعاصر من هذه الوجهة ، وبسبب هذا الافتقار وحده ، علينا ان نرحب بأي جهد يسهم في تحقيق هذا المسح . ومن الجهود التي لفتت نظري ، دراسة الاستاذ محمد حسني الصفير : فلسطين في الشعر النجفي المعاصر ١٩٢٨ ـ ١٦٦٨ . وتهدف الدراسة ـ كما يدل عنوانها ـ الى التعريف بما انتجه شعراء النجف المعاصرون من قصائد تعكس مأساة فلسطين خلال اربعين عاما (١٩٢٨ ـ ١٩٦٨)، ولم يجد صاحبها بدا من اخضاع هذا النتاج الشعري الشر الى اتجاهات خمسة اسماها بالاتجاه الفلسطيني ، الاتجاه العربي ، الاتجاه الاسلامي ، الاتجاه العربي ـ الاسلامي ، والاتجاه الوجداني .

١ ـ ويعني المؤلف بالاتجاه الفلسطيني ما اتخذ كفاح الفلسطينيين اساسا لحل القضية الفلسطينية ، وان كان لا يهمل مسؤولية الاقطار العربية الاخرى في دعم كفاحهم ـ والشعراء الذين تناولهم المؤلف كممثلين لهذا الاتجاه : محمد مهدي الجواهري ـ محمد جمال الهاشمي ـ حسني محمد الصفير ـ عبد الهادي الشرقي ـ محمد رضا آل صادق . (ص ٥٧ ـ ٩٤) .

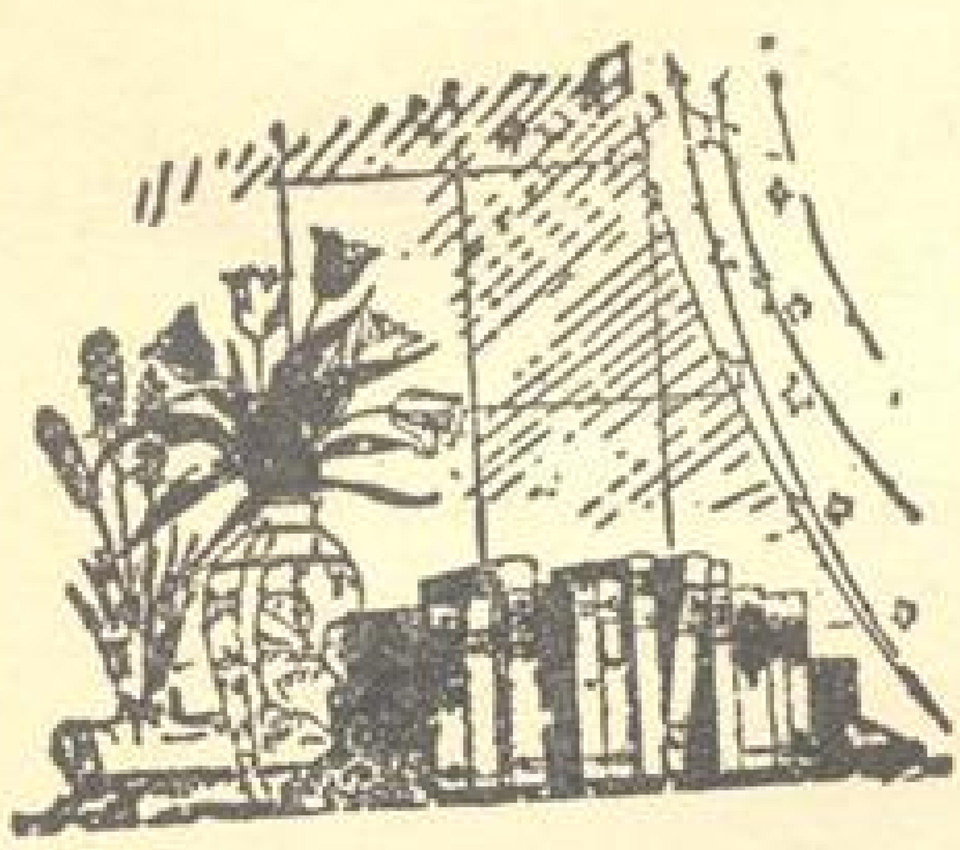
٢ ـ الاتجاه العربي وهو ما يقوم « على اساس علاج القضية الفلسطينية وتقليص أزمتها عن الطريق العربي كمشكلة قومية لا تحل الا على الصعيد القومي » ، وممثلو هذه الاتجاه : عبد الحسين الحلي ـ محمد مهدي الجواهري ـ محمود الحبوبي ـ عبد الغني الخضري ـ ابراهيم الوائلي ـ ضياء الدين الخاقاني ـ (ص ٩٧ ـ ١٩٦) .

٣ ـ الاتجاه الاسلامي وهو ما يتجاوز البعد العربي في معالجة المشكلة الى اعتبارها موضوعا اسلاميا يهم الدول الاسلامية كافة ، نظرا لمنزلة فلسطين الدينية . والشعراء الذين أكدوا على هذا الجانب ـ ومعظمهم من رجال الدين ـ هم : حسين بحر العلوم ـ محمد آل حيدر ـ جعفر الهلالي ـ محمود البستاني ـ محمد صالح جعفر الظالمي (ص ١٧٣ ـ ١٩٨) .

٤ ـ الاتجاه العربي ـ الاسلامي وقد عرفه المؤلف بانه « يتناول القضية الفلسطينية على صعيد عربي اسلامي بآن واحد ، ويرى شعراؤه ان حل المشكلة لا يتأتى الا بتضافر جهود العرب والمسلمين » وتمثيله من الشعراء : محمد علي اليعقوبي ـ عبد المهدي مطر ـ صالح الجعفري ـ علي الصفير ـ عبد المنعم الفرطوسي ـ احمد الوائلي (٢٠١ ـ ٢٦٦) .

٥ ـ الاتجاه الوجداني وهو يقوم ـ حسب مفهوم المؤلف ـ « على أساس تجديد الارادة ، واثارة الحمية واعداد القوة ، وتجسيد مآسي النازحين ، وما آلت اليه الحالة في فلسطين ، وما عليه ابناؤها من بؤس والم وتشريد » وشعراء هذا الاتجاه : محمد الخليلي ـ عبد الكريم الدجيلي ـ احمد الموسوي الهندي ـ عمار سميسم ـ عبد

الاديب



لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

●

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في امريكا وآسيا : ١٠ دولارات بالبريد العادي

٢٥ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

●

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

●

تليفون : الادارة ٢٢٣٨١٩ Tel : Dir : 223819
المنزل ٢٢٥١٣٩ Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البير اديب

الصاحب الدجيلي ـ جواد شبر ـ يحيي الصافي ـ محمد بحر العلوم ـ احمد الصغير ـ حميد فرج الله (٢٦٩ ـ ٣١١) .

وبالاضافة الى هذه الاتجاهات ، خصص المؤلف جزءا من الكتاب لفلسطينياته ـ وهي خمس قصائد قيلت في مناسبات مختلفة ـ وقد ذكر نصوصها من غير تحليل (٣١٥ ـ ٣٤٠) . كما انه تناول في المقدمة (١٥ ـ ٥٥) منهج البحث ، والهدف ، وتاريخ فلسطين ، وتاريخ النجف السياسي والفكري المعاصر . ومن مزايا دراسته انها ضمت فهارس تفصيلية منوعة ك « فهرس الاسر والقبائل والاجناس » و « فهرس الاعلام » و « الجوامع والجامعات والجمعيات » ، و « تراجم الشعراء » و « البلدان والبقاع والانهار والدول » و «تطالع القصائد» ، فهيأت للقاريء أداة تغنيه مشقة البحث عما يهمه من الموضوعات .

ومما لا شك فيه ان الاستاذ الصغير قد اسهم مشكورا في توضيح اصداء القضية الفلسطينية في جزء مهم من نتاجنا الادبي المعاصر ، وانه قد بذل جهدا كبيرا في جمع مواد دراسته التي شملت « ٣٢ » شاعرا ، واعد مصدرا قيما لمن يريد الوقوف على مدى الاستجابة او عمقها في معالجة الشعر العربي المعاصر لمأساة فلسطين ، غير ان لدي بعض الملاحظات او الاسئلة حول منهجه واسلوب معالجته لبعض الموضوعات ، وفي مقدمتها ما يتصل ببدء معالجة الشعر النجفي لمشكلة فلسطين .

ان تحديد المعالجة الاولى : (١٩٢٨) يدعو الى التساؤل ـ ان لم يكن الارتياب ـ نظرا لما يعنيه من تاخر نسبي في استجابة شعراء النجف ، اذ ان هنالك بين وعد بلفور ١٩١٧ وهذا التاريخ احدى عشرة سنة ظهرت خلالها قصائد عربية اخرى تتناول المشكلة كقصيدة الشاعر اللبناني وديع البستاني « الدولة الرضيع » التي قيلت في ١٩١٧ (١) وبعض قصائد الشاعر السوري خير الدين الزركلي التي يرجع تاريخها الى سنة ١٩١٩ (٢) ، وقصيدة الشاعر العراقي الرصافي الموجهة الى هربرت صموئيل عام ١٩٢٠ (٣) . ومما يثير الاستغراب ان بعض شعراء النجف المعروفين كمحمد رضا الشبيبي وباقر الشبيبي وغيرهما قد عاصروا الاحداث العربية التي اعقبت الحرب العالمية الاولى ، وتناولوها في شعرهم ، وان مدينة النجف لعبت دورا مهما في الثورة العراقية ، ولم تكن بمعزل عن القضايا العربية الاخرى . ولهذا يخيل الي ان من الضروري الوقوف مليا عند هذا التاريخ (١٩٢٨) وتفسير ظاهرة التأخر في استجابة الشعر النجفي للمشكلة ان لم نعثر على ما يشير الى معالجته للموضوع قبل هذا التاريخ .

والملاحظة الثانية ذات علاقة بمنهج المؤلف . لقد ذكرت انه آثر اخضاع الشعر النجفي الى خمسة اتجاهات ، ولكن اذا تأملنا في النماذج التي اختارها كأمثلة لتلك الاتجاهات لوجدنا ان من العسير التمييز بين اتجاه وآخر وليس هذا بمستغرب لسببين اولهما رؤية الشعراء النجفيين انفسهم التي تجمع بين العروبة والاسلام والثاني علاقة فلسطين الوثيقة بالدين والعروبة ، ولهذا نجد ان الشعور القومي والحس الديني يظهران متلازمين في كثير من القصائد التي عالجت فلسطين ، واذا جاز لنا ان نعتبر مدى التاكيد على كل من العروبة والدين معيارا لتقسيم الشعراء ، لكان من الافضل تناول معظمهم وفق الاتجاهين الديني والقومي . ولنأخذ امثلة توضح صعوبة تطبيق معايير المؤلف الخاصة بالاتجاهات الخمسة . فهو يعتبر مثلا عبد الغني الخضري من ممثلي الاتجاه العربي ، ولكن العنصر الديني في شعره يبدو اكثر وضوحا فهو يتحدث بلغة دينية عن المشركين الكفر ، وعن خصوم طه والمسيح ، والقبلة الاولى ، ومعراج النبي ، وغير ذلك من الصور الدينية التي تستدعي اعتباره ممثلا للاتجاه الديني او ممثلا لما اسماه بالاتجاه العربي ـ الاسلامي .

ولا أدري الحكمة في ان يعد علي الصغير ممثلا للاتجاه العربي ـ الاسلامي ، وتأكيده على الدين كحل يلفت النظر اكثر من نهج اولئك الذين اعتبروا ممثلين للاتجاه الاسلامي . انظر هذه الابيات المتفرقة من قصيدته « المجاهد العربي » (٤) :

ويرون جامعة بغير تمسك	في الدين ليس تيم منها مقصد
ويرون (جامعة) بغير (محمد)	يدعى لها وبدينه تسترشد
ويرون جامعة (النبي محمد)	اسمى وارفع في الجهاد واحمد
ولقد اقول لمن تفرق شملهم	الدين وحد شملكم فتوحدوا

والقصائد التي ذكرها المؤلف (٥٧١ ـ ٥٧٧) لاحمد الهندي ، ومحمد الخليلي وعبد الكريم الدجيلي ضمن الاتجاه الوجداني يمكن اعتبارها عربية الاتجاه ، فهي تتحدث عن المجد العربي ، وعن الوحدة العربية كأساس لحل المشكلة . ثم عناصر هذا الاتجاه « تجديد الارادة ، واثارة الحمية واعداد القوة ، وتجسيد مآسي النازحين » . الا نجدها متناثرة هنا وهناك في قصائد الشعراء الذين لم يشملهم هذا التقسيم؟ ان هذه الامثلة ، وهناك امثلة اخرى ، تتطلب في اعتقادي اعادة النظر في منهج المؤلف ، واسس هذه الاتجاهات الخمسة .

ومما يتصل بمنهج المؤلف المعايير التي اتبعها . في اختيار «٣٢» شاعرا ، وهي لا تبدو واضحة . أهي معايير كمية ؟ نوعية ؟ ام معايير فرضتها ظروف سياسية معينة ؟. لماذا اهمل ذكر عدد من الشعراء اهمالا تاما كشاعر الشعب محمد صالح بحر العلوم ، والدكتور عبد الرزاق محيي الدين ، وعلي البازي وغيرهم ممن تناولوا في شعرهم مأساة فلسطين ؟ ولماذا اوردت اسماء عدد من الشعراء من غير امثلة شعرية ذات علاقة بالموضوع كالشاعرين احمد الصافي النجفي وعلي الشرقي ؟ لقد ذكر الاستاذ عبد الكريم الدجيلي (٥) بعض الامثلة التي تشير الى اهتمام هؤلاء الشعراء (باستثناء الصافي النجفي) بمأساة فلسطين ، ولبعضهم نماذج اخرى ـ فلسطينية الموضوع ـ وكلها تستحق الدراسة او على الاقل الاشارة اليها . ومن الطريف ذكره اننا لا نعثر على امثلة شعرية لغير شاعرين من مجموع سبعة شعراء اعتبرهم المؤلف (ص ٤٧) رائدي التطور الحديث للشعر النجفي المعاصر اما الرواد الخمسة الآخرون : محمد رضا الشبيبي ، أحمد الصافي النجفي ، علي الشرقي ، باقر الشبيبي ، وحميد السماوي ، فقد اكتفى بذكرهم مما يوحي للقاريء غير المطلع بأن هؤلاء لم يتناولوا فلسطين في شعرهم او ان اهتمامهم بها كان عابرا ، وقد يكون هنالك ما يبرر هذا الايحاء غير ان ذلك لا يمنع المؤلف من التحدث عنه بصراحة ، والاشارة ـ ان امكن ـ الى اسباب عدم اهتمام هؤلاء الشعراء بالمشكلة . واعتقد ان هذا الامر جدير بالانتباه خاصة عند دراسة الشاعر الكبير احمد الصافي النجفي الذي ظهرت له حتى الآن (على الاقل) عشر مجموعات شعرية (٦) .

لقد احسن المؤلف في التطرق الى دور المجلات المتعددة التي صدرت في النجف ، وذكر اعمال الشعراء الذين تناولهم ، ولكن معلوماته عن المجلات والاعمال جاءت ناقصة في كثير من الحالات ، فهو لا يشير دائما الى تاريخ احتجاب عدد من المجلات بل يكتفي بالاشارة الى انها محتجبة او استمرت على الصدور عدة سنوات (ص ٤٨ ـ٤٩) ولا يشير كذلك في معظم الحالات الى تاريخ صدور اعمال الشعراء ..

---

١ ـ ناصر الدين الاسد محاضرات في الشعر الحديث في فلسطين والاردن (القاهرة : ١٩٦١) ص ٩٧ .

٢ ـ سامي الدهان الشعر الحديث في الاقليم السوري (القاهرة: ١٩٦٠) ص ١٩٥ ـ ١٩٦ .

٣ ـ معروف الرصافي الديوان جـ ٦ (القاهرة : ١٩٦٤) ص ٤٢٩ .

٤ ـ الصغير ، ص ٢٤١ .

٥ ـ عبد الكريم الدجيلي « الشعر العراقي الحديث » (القاهرة: ١٩٥٩) ١٠٣ ـ ١١٥ .

وعدم الاهتمام بالزمن ، بالتاريخ ، عند ذكر المطبوعات او نشرها يمثل ظاهرة عامة نلمسها في كثير من الكتب العربية وهي تدعو الى التذمر، والشكوى ، لدى الباحثين او المعنيين بالدراسات العربية لما تسببه من متاعب ــ لا مبرر لها ــ في البحث عن تاريخ نشر كتاب ، او صدور مجلة ، او قصيدة . ومن اشارات المؤلف الغامضة الى تاريخ بعض القصائد قوله « ونشرتها مجلة الرسالة سنة ١٩٥. » (٧) من غير ذكر معين ، او تاريخ دقيق ، او صفحة .

اما مصادر الكتاب فهي وافية لاغراض بحثه ، وان كنت اود ان تحوي كتبا اخرى مماثلة في موضوعها ككتاب السوافيري الذي نوهنا به في بدء المقال ، حيث يجد القاريء لعدد من شعراء النجف مكانة مرموقة (٨) .

ومهما يكن من أمر ، فان هذه الملاحظات وامثالها تبدو ذات قيمة ثانوية تجاه ما قام به الاستاذ محمد حسين الصغير من جهد مشكور للتعريف بأثر فلسطين في الشعر النجفي المعاصر .

امريكا ــ جامعة انديانا   **صالح جواد الطعمة**

---

٦ ــ بعد قراءة سريعة لسبعة من اعمال الصافي النجفي المتيسرة لدي (الامواج ، الاوغار ، التيار ، الحان اللهيب ، شرر ، الشلال ، اللفحات) لم المس في شعره صدى واضحا مباشرا لمأساة فلسطين . انظر مثلا البيتين اللذين نظمهما « رداً على غولدا ماير عندما قالت كان الهجوم اليهودي على الجيش السوري حملة تأديبية » :

سلوا عنا اليهود الجاحدينا   فقد شهدوا لنا النصر المبينا
الى تاديبنا جاؤا سراعا   فعادوا مسرعين مؤدبينا

احمد الصافي النجفي : الشلال (بيروت : ١٩٦٢) ص ٣٢٣

٧ ــ انظر كتاب : ص ١٤٩ .

٨ ــ السوافيري ص ٥٢٧ ــ ٥٣٠ .

في الادب والحياة

تأليف وحيد الدين بهاء الدين ــ ١١٢ صفحة طبع بمطبعة دار البصري ببغداد وساعدت نقابة المعلمين العراقية على نشره . عام ١٩٦٩

كنت قد ارسلت في البريد الادبي لمجلة « الاديب » الاغر تحية بشعري لصديقي الكاتب العربي العراقي الاستاذ وحيد الدين بهاء الدين ، وهو أديب متالق الاخلاق متفوق الروح تجل نفسه عن الدنايا ، ولطالما كاتبني وكاتبته حتى لكأننا كنا في دنيا الادب نبتغي ان نمزج ماء بردى

بماء دجلة ونشرب فيهما كؤوس الصفاء التي لا تفنى .

كنت في القاهرة ملحقا ثقافيا بالسفارة السورية وكان صاحب ودي وشاغل قلبي بعلمه وفكره وادبه العظيم أخي الدكتور محمد بديع شريف الملحق الثقافي بالسفارة العراقية فكان ــ امتعه الله بالعمر المديد وتجليه السعيدين الفاليين ــ يمر بي بسيارته ليوصلني الى دار سفارتنا بالزمالك ، وكنت اقول له ويقول لي :

ــ نحن على الصفاء ، على الدوام ، نمزج ماء بردى بماء دجلة العذب المصفى ونكرع منهما كؤوس المودة التي لا تفنى ويؤلف بيننا أدب اقمناه مقام القربى كما يقول أبو تمام .. ويشاء صاحبي الاستاذ وحيد الدين مؤلف كتاب « في الادب والحياة » أن أخرج عن طوري في تحليل الكتب وعرضها ، فكتب الي أن اكون قاسيا في نقدي كتابه ، وهو نسي قول الشاعر « واذا ضربت أصابني سهمي » .

الا يا صاحبي ، ان ابغض ما علي الهدم والتجريح ولست ادري كيف خرجت عن طوري ذات مرة ، اذ نصحت لصديقي القديم نابغة ادب العرب بلبنان الاستاذ الدكتور عمر فروخ يوم اصدر مجلته «الامالي» وارسل لي الشاعر محمد علي الحوماني لكي اطوف به على المجمع العلمي ودور الجامعة وبيوت الصحافة والنشر تعريفا بمجلة « الامالي » فنصحت يومئذ للاستاذ فروخ بقولي :

اذا شئتم ان تشقوا طريقا سوية وضاحة لمجلتكم هذه ، فامسكوا بالادباء الكبار وجرحوهم واجلدوهم ، واجعلوا كتبهم كالمصفاة والمناخيل ممزقة ، وبالغوا في تسفيهها يلتفت اليكم الجمهور ويقبل على مجلتكم .

وتلك نصيحة سوء لست ادري كيف نصحت بها ، ففعل محررو الامالي ذلك واجروا اقلامهم عصيا للضرب ، فانفتح سوق مجلتهم وراجت وردت ارباحا ، وقعدت بعد ذلك نادما ، انظر في اخلاق البشر، وانا اعرف ادباء في الشرق والغرب كانوا مسالمين فما ند لهم صيت ولا نث لهم خبر وعاش منهم ناس وذهبوا من دنيانا دون ان يحدثوا اثرا يهز كيان الادب ...

واعرف آخرين ، هم اولاد الامس ، لكنهم حملوا بديل الاقلام الخناجر فطعنوا بها الحناجر واذا الجمهور يقبل على اثارهم وكأنه يتشفى بمادبة الاسود .

وتلك طبيعة الانسان ــ على ما ظهر لي ــ وان لم اكن من علماء الاجتماع ، فان هذه الظاهرة الوبئة صحيحة القياس في الناس، جربها الجاحظ ابو عثمان في نفسه فقال في مقدمة المحاسن والاضداد ــ وانا أنسبه اليه حتما ــ اذ تمرست بأدبه وعرفت مواقع الاصالة فيه :

« ربما ألفت الكتاب السديد المكين باسمي فلمزه اللامزون واعرض عنه المعرضون وجفوني فيه واجتووني ولكني حين اؤلف الكتاب وانسبه الى ابن المقفع او الى فلان وفلان من كبار الكتاب فارى الناس مقبلين عليه متهافتين فوقه » .

ولهذا نرى كتابا يرمزون الى اسمائهم باسماء مستعارة لكي لا يصيبهم ضيم من الناس الذين عرفوهم ، وقديما قيل في امثالنا « من عرفك صغيرا لم يوقرك كبيرا » .

ولكني بحمد الله عرفت الكاتب النابغ الاستاذ وحيد الدين بهاء الدين كبيرا ولو قد عرفته صغيرا لما اثر في النظر لادبه ونبوغه في الفكر والادب والخلق .

ولقد اعجب بالكاتب وحيد الدين من قبلي يافعة الجامعة العراقية الصديق الدكتور صفاء خلوصي اذ قال في مؤلف هذا الكتاب :

« لست من قراء الاسماء والتواقيع ، ولكني كلما رأيت مقالا او بحثا بتوقيع وحيد الدين بهاء الدين أسرعت الى قراءته بلا تردد ، ذلك لان له اسلوبا عذبا وافكارا طريفة جديدة ونزعة الى النقاء اللغوي الذي افتقده عند الكثيرين من الكتاب » .

وبعد ، فهذا الكتاب اعده كتاب الساعة اذ يمارس موضوعات

بأمتي راهنة يعيش اليوم العرب في ابانها وديدنها ، فهو يقرر بمقال افتتاحي لكتابه امر الادب ونوبته في معركة التحرير والمصير ، وكي تحز بي كلمة المصير .. أفيصل الامر بأمتي العربية العريقة التي مـلأت الارض مجدا وعدلا وفتوحا ، ولم تعرف معنى الاستعمار والدمار وانها كانت باقية ، للشعوب التي افتتحت ارضها – الى ان تفكر بالمصير في معركة التحرير ! وبهذا المقال وحده يحمل المؤلف النابغ كتابه سجلا تاريخيا لمعركة اليوم مع اثام الصهيونية العادية . ويعالج الكتاب قضايا الفكر ويسمي الكاتب مقاله فيه « حرية الفكر والتفكير » . واعجب له كما اعجب لسواه في افواههم « حرية الفكر » الا ان الفكر حر لا تستطيع سلاسل الدنيا واصفادها تقييده فكم حر بفكره وقف امام الطغاة يدير في رأسه ما يشاء من القول والهمس النفسي ولا يدري به ظالموه ، فانا افكر اذن انا موجود ذلك ما كان ينشره ديكارت في مذهبه الفلسفي ، فالفكر اساس الوجود ولا سلطان لاحد على الفكر الحر ، اما الاقوال والافعال فتلك التي ارتضى لها هذا القياس ، فيقال « حرية القول وحرية العمل » لان القول والعمل حادثان ملموسان اما حرية الفكر فحادث معنوي يدور في اذهان الاحرار ورؤوسهم .

واجاوز مقالات الكاتب الفائقة الى مقال سماه « الى ابنتي » وانا الذي اعيش بسبيل اولادي الثلاثة افديهم بالمال والروح وانفس ما املك في الحياة وبعد الحياة . وقد بدأ كلامه بمطالع فلسفة وبتراكيب ممعنة في متانتها كقوله مخاطبا ابنته الوليدة :

« انبثقت مختلجة سادرة تهتكين ضمير المجهول رمزا لصراع تتفاقم على ترادف الايام حدته ، تخطين في لوح الزمن الباقي حروفا نورانية ايذانا بميلاد ليس اول ولا بآخر ، تزفين لمسمع التاريخ الرهيف بداية قصة تتمثل في صميمها الذاتية والانسانية تنثين في تربة الحياة المترعة ، بذورا نامية ، تعبيرا عن مقومات وجود » .

يا لله هذه الجمل النفسية التي يخاطبك بها الكاتب بسلامة اسلوبها المكين ، فلقد جمع الكاتب اسباب الحياة والوجود وبذور الانسانية المقبلة في مناجاة وليدته التي اتت الى الدنيا انثى ولم تات ذكرا . ومن هنا اخذ يدافع عن الاناث ويصف الوجوه التي تتجهم لاستقبالهن بعد الولادة .

لقد كتب مقاله هذا في شهر نيسان ١٩٦٢ وانا اكتب عن كتابه في هذا الشهر نفسه لعام ١٩٧٠ فابنته اذن – حفظ الله عمرها – هي الان بنت ثمان ، فما احيلى كلامها وما اطرف وجودها ، اني اعود الى ابنتي ذكاء وسماء المحاسني يوم كانتا بهذه السن منية روحي وشغاف قلبي وبلسم جراحي ، مع اخيهما ذكوان .

وكان بوسع الكاتب الكبير وحيد الدين بهاء الدين ان يلوذ بالقرآن الكريم في هذه القضية (سورة النحل) .

ويعرف قرائي وقارئاتي حيثما كتبت انني اذوق طعام الكتب ولا آتي على اكلها وانما ادعوهم الى مآدبها الفنية ليمعنوا فيها غذاء الروح ومشرب النفس التي لا تروى . فالى مادبة الاستاذ السخي وحيد الدين التي تحمل المن والسلوى في الادب والحياة .

دمشق — زكي المحاسني

•

عدالة السماء

مجموعة مسرحيات – تأليف ناجية ثامر – ١٢٠ صفحة – دار الكتب الشرقية بتونس

كنت عرضت في مقال سابق للمجموعة القصصية « اردنا الحياة » للاديبة ناجية ثامر واعود الان لاتحدث عن مجموعتها المسرحية « عدالة السماء » التي تضم ثلاث مسرحيات قصيرة . الاولى بعنوان « عدالة السماء » والثانية « بين اثنتين » والثالثة « اللقاء الاخير » ولا تزيد هذه المجموعة على (١٢٠) صفحة من القياس الصغير وتكاد تتساوى المسرحيات الثلاث في طولها .

تحكي المسرحية الاولى قصة فتاة بائسة عاشت بعد وفاة امها، مع ابيها وزوجته في ظلم شديد وحاولت زوجة الاب ان تزوجها من رجل مسن لا ترغب هي به ، وما كان من الفتاة الا ان هربت مع شاب اغراها وزعم انه يحبها ويريد لها الخلاص . ولكن تبين لها انه متزوج وله ولد ، ولا يجرؤ على اعلان زواجه منها ، فعادت صاغرة الى بيت ابيها ومعها الطفلة التي رفض ذلك الشاب ان ينسبها اليه . وحينذاك قبلت الفتاة ان تتزوج الشيخ المسن بغية ان يمنح ابنتها اسمه . ونشات الطفلة في كنف امها ورعايتها ، وتعلمت واصبحت محامية تدافع عن المظلومين . وبينما هي ترافع في قضية ظلم تشبه ما نال امها من ابيها اذا بشاب يسمع المرافعة ويعجب بصاحبتها المحامية اللامعة ويطلب يدها ، ولكنها تمانع بشدة ، ثم تضطر امام الحاحه الى ان تطلعه على حقيقة نسبها فلا يغير ذلك شيئا من رأيه فيها ، ويبقى مصرا على رغبته ثم يطلبها رسميا من امها ، وتجري الاستعدادات للزفاف ويستدعي اباه البعيد عن مدينته ليحضر الزفاف ، وتخشى الفتاة وامها ان يكون حضور والد الشاب عامل فشل لهذا الزواج بعد ان يتعرف حقيقة ماضيهما . ولكن يحصل ما لم يكن بالحسبان اذ يتبين ان والده هو والد الفتاة ذاته الذي سبب لها ولامها هذا الشقاء ، فتموت الام لعظم المفاجاة ، ويطلق الاب على نفسه الرصاص بعد ان شعر باثمه وانه كان سيتسبب بزواج اخوين لولا عدالة السماء التي ابعدت هذا المنكر .

اما المسرحية الثانية فتصور امراة كانت عاملة في متجر واستطاعت بذكائها ونشاطها ان تصبح مالكة لهذا المتجر نفسه . وكانت تقوم على تربية ابنة اخت لها توفيت عنها امها وهي صغيرة ، فكانت هي لها بمثابة الام تمنحها اكبر العطف . وحين شبت الفتاة ودخلت الجامعة تعرفت على شاب فرغب بها وجاء الى خالتها ليخطبها منها ، وحدث ما

لم يتوقع ، اذ احب الرجل خالة الفتاة حبا شديدا لتقاربهما في الميول والسن ، ولم يعد يرغب بابنة اختها ، وكذلك هي احبته ولكنها ضغطت على عواطفها ورفضت قبوله زوجا لها رغم علم ابنة اختها بالامر ورغبتها الصادقة بتنفيذه . وبقيت الخالة على موقفها المثالي من الرفض ولو ادى ذلك الى تحطيم قلبها وتمزيق عواطفها وعواطف الرجل الذي بادلها الحب .

واما الثالثة والاخيرة فترتكز على وشاية ملفقة ينفذها شاب شرير يسبب بواسطتها شقاء واي شقاء لعائلة سعيدة . وخلاصة المسرحية ان هذا الرجل الشرير احب زوجة قريبه وصديقه ، واغراها بشتى الوسائل لتلبي رغباته الدنيئة ، ولكنها رفضت كل ذلك اباء وشرفا . ورغم كل الاكاذيب التي لفقها لها عن مساوىء زوجها وخيانته لها ، ورغم الوعود التي قدمها بأن يهيىء لها جنة نعيم تضمهما معا ، ورغم كل تهديداته ان رفضت ترغيبه واغراءه فانها لم تتأثر بشيء من ذلك . وحينذاك لجأ الى تنفيذ خطته الشنيعة ، فأعطى خادمها رسالة مكتوبة على لسانها اليه ، واغراه بمبلغ كبير من المال ، واوصاه بأن يستغل وجود زوجها ويتظاهر بأنه يريد ان يضع هذه الرسالة في البريد بأحرفها . وينفذ الخادم الحيلة ، ويطلب الزوج الرسالة ويقرأها فتثور ثائرته ويخيل اليه ان زوجته تريد خيانته مع هذا القريب . ولا يعرف ماذا يصنع . ثم يلجأ الى حل يقوده اليه عقله فيبعد الزوجة عن الدار ، ويجري لها مرتبا شهريا ، ويبقى هو وحده في البيت يقوم على رعاية طفلته الصغيرة ، وتشب الفتاة وتتمنى امها رؤيتها ولكنها محرومة من ذلك الا من خصاص الباب . اما هي فلا تعرف الا ان امها ماتت منذ زمن . وفجأة يقع الخادم في سكرات الموت ويتذكر جريمته التي ارتكبها مع سيدته فيعمد الى الاعتراف امام سيده ، ويدهش السيد فعلا ، ويسرع الى زوجته مع ابنته ، ولكن الام لا تحمل المفاجأة السارة فتسقط ميتة ، وتكون الفتاة قد وجدت امها وفقدتها في يوم واحد .

من خلال هذه الخلاصة للمسرحيات الثلاث ندرك ان موضوعها كان اجتماعيا اصلاحيا هادفا ، كانت غاية الكاتبة من المسرحية الاولى ان تصور البؤس الذي يعانيه الاولاد من زوجات الاب ، وكيف يقود هذا الظلم الى الانحراف ، ثم هي تحذر الفتيات من الانسياق وراء الشباب المستهترين الذين يغررون بهن ، وتود لو يرتدع الرجال عن هذه الطرق الملتوية في حياتهم اللاهية التي لا تبغي الا استراق الملذات ولو على اشلاء الضحايا البشرية والقيم والمثل الاخلاقية . اما الثانية فانها تحبب القارىء بالعمل النشيط الذكي الذي يرفع صاحبه الى احسن المستويات . وتعرض صورة لامرأة مثالية عاقلة تغلب عقلها على عواطفها ، وتضحي في سبيل ابنة اختها بكل ما تملك ، وهي في الوقت نفسه تظهر في بعض زوايا المسرحية استهجانها لاحتراف المرأة بعض الهوايات الخاصة كالتمثيل والغناء والرقص ، وترى ان تبقى سيدة البيت هاوية فقط من غير ان تحترف .

اما الهدف الاصلاحي الذي يكمن وراء المسرحية الثالثة فانه لا يكاد يبتعد كثيرا عن هدف المسرحية الاولى ، اذ تظهر لنا انانية بعض الرجال وسعيهم الى الايقاع بمن لا تستجيب الى نزواتهم الدنيئة .

وبذلك نحس ان هدف الكاتبة من مسرحياتها كان راقيا ، وان الشخصيات المحورية فيها هي شخصيات مثالية تصور الصراع بين الخير والشر ، وتقوم هي بدور الخير المطلق . اما الشخصيات المعارضة فيظهر عليها الشر واضحا . فكما مالت ناجية ثامر الى تصوير المثالية في قصصها تميل الى ذلك ايضا في مسرحياتها . ولكن يخيل الي هنا ان هذه المثالية المفرقة في ترفعها تكاد تبعد بعض جوانب الشخصيات عن الواقع . واظن انه يصعب على رجل يكتشف نسب الفتاة الذي رأيناه في المسرحية الثانية ان يبقى مصرا على زواجه منها .

ومن اين لنا برجل مثل ذلك الزوج في المسرحية الثالثة يلمس خيانة زوجته في مثل تلك الرسالة ثم هو يبعدها عن البيت ولكن بحكمة اذ يجري عليها نفقة شهرية حتى لا تنقاد الى المذلة والمهانة . ويحدب على ابنته الى ان تشب ، ويعيش حياة اقرب الى نسك الزهاد في الصوامع . ان مثل هذه الشخصيات يكاد يكون وجودها نادرا في المجتمع . وكأن الكاتبة قد صورتها مشذبة مهذبة على بعض الناس يستملحونها فيقتدون ببعض تصرفاتها .

ويبدو من خلال هذه المسرحيات ان حياة المرأة التونسية لا تكاد تختلف في شيء عن حياة المرأة في مشرقنا العربي . فهي تعاني ما تعانيه اختها من شظف العيش وقسوة الظروف وجفاء بعض الرجال واهمالهم واستهتارهم . وهذا ما يجعل المؤلفة متعصبة لبنات جنسها ضدهم كما يبدو في هذه العبارة من المسرحية الاولى ص ٣٢ : «صدقني يا ولدي مهما تكن الام انانية قاسية فهي اشفق على اولادها من غيرها .. هناك امهات قاسيات انانيات يصرفن اوقاتهن كلها في التبرج والتزين .. ولكنهن والحمد لله نادرات » يرد ذلك على لسان المرأة التي استطاعت ان تربي ابنتها وتعلمها رغم كل ما احاط بها من شقاء وسوء . واذا فالام اشفق على اولادها من اي انسان اخر حتى من الاب الذي يفترض فيه مشاركتها شعورها وعطفها واحساسها ، ولكن انانيته وانسياقه وراء ملذاته كثيرا ما ينسيانه كل شيء حتى زوجته واولاده ، ويجعلانه متعلقا بأطراف حب جديد مزعوم يشقي به المحبوبة الجديدة اكثر مما يسعدها ، هذا فضلا عن الشقاء الاول الذي خلفه للزوجة الاولى .

اما اسلوب الكاتبة فانه سهل سلس رشيق ، ولكن الحوار يبدو في بعض الاحيان غير مناسب للموقف ولا معبر عن المراد منه . ففي المسرحية الاولى حين يغرر الرجل بالفتاة البائسة ويأخذها من بيت اهلها يعمد الى بعض المحاولات ليطلق زوجته الاولى التي تبدو غاية في المثالية . يقول الرجل واسمه زكي لزوجته احسان : « انك خير زوجة وافضل ام وفيك من الصفات ما يندر وجوده في غيرك من النساء ، ولكن سلي قلبي فهو الذي قد خان ، وهل نستطيع جبر القلوب على قبول ما لا ترضاه » .

احسان : « حسنا ، ماذا تريد ؟ »

زكي : « اريد ان توافقيني على الطلاق وسارسل لك شهريا كل ما يلزمك من نفقات انت وولدك » .

في اعتقادي ان الحوار في هذه النقطة وعلى هذه الشاكلة غير موفق ابدا . فالرجل اذا لم يعد زوجته سوف يرى كل شيء فيها سيئا ، ولن يعترف لها بأية فضيلة ، وهو بذلك يخلق لها من المشكلات ما تعجز عن تحمله والصبر عليه ، اما ان ياتيها بكل هذه البساطة والسذاجة ويقول لها انه لم يعد يحبها ويريد ان يطلقها فاظن ان ذلك لا يمكن ان يحدث . واذا حدث فلا بد ان يكون هناك تناقض في شخصية هذا الزوج .

وكذلك نقرأ مثل هذا الحوار المثالي حين تلجأ المراة الى الحديث مع نفسها وتصمم على الا تحرك ساكنا ولا تسعى الى الانتقام ولا تدعو على زوجها باللعنة . وهي تبدو متعظة بما تراه امامها دوما من حوادث الزواج والطلاق . ان مثل هذا الموقف الهادىء الرصين كذلك مبالغ فيه وكا نالمراة ارتفعت الى صف الملائكة وتخلت عن طبيعتها البشرية التي تعتبر في كثير من الاحيان زواج زوجها اكبر كارثة يمكن ان تحل بها . وضمن هذا الحوار النفسي المستفيض في هدوئه نسمع الحاكم مثل : « وقد تثقل المراة الفاضلة بميزانها الكاملة على الرجل الذي تعود على الدناءة والرذيلة ، كما تثقل المراة الرذيلة على الرجل الفاضل ان هذه الحكم رغم جمالها تزيد من فتور الحوار لانها تضرب على وتر المثالية ذاته .

الا ان المؤلفة كانما تستدرك هذا الموقف المثالي الذي صورته ، وصورت معه نفور الزوج من زوجته المثالية فتقول على لسانه يصف زوجته : « كانت عاقلة جدا وهي مع ذلك جميلة ونظيفة ةوعفيفة وكل ما كنت انتقده عليها سكوتها ورضاها بكل شيء » حتى يقول : « لقد مللت منها تلك الطيبة المتزايدة وذلك السكوت المستديم » . ولكن الغريب هو ملله من سكوت زوجته الاولى ، وبالمقابل ضجره من نقاش وحديث المراة الثانية التي غرر بها ، وعودته من جديد الى الاولى .

وهكذا بالاضافة الى البطء في الحوار نجد الفتور فيه كذلك نتيجة للالحاح على ظاهرة الترفع والابتعاد عن كل شائبة لدى الشخصيات المحورية .

اما من حيث العقدة والحل فقد كانت الكاتبة موفقة الى درجة كبيرة في ايجاد التشويق وخلق العقدة والسعي حثيثا الى الحل الملائم. ولم تعمد الى الفصول والمشاهد وانما كان لديها ما تسميه الفواصل بين الفقرة والاخرى .

ومهما قيل في هذه المجموعة فانها تبقى مسرحيات جيدة بفكرتها وهدفها وقدرتها على تصوير مشكلات مجتمعنا التي نعيشها جميعا ونسعى الى التخلص منها . فشكرا لكاتبتها ، والامل واسع بأن تواصل طريق نشاطها الادبي معطية ايانا لوحات معبرة عن نوع الحياة التي يحياها اخوتنا واخواتنا في تونس الخضراء الحبيبة .

دمشق — لطفية الشهابي

•

مسافر في التاريخ

ديوان شعر ـ محمد احمد العزب ـ ٢٣٣ صفحة ـ منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي ـ مطبعة وزارة الثقافة السورية بدمشق

قدمت وزارة الثقافة والارشاد القومي السورية هذا الديوان الجديد للشاعر المصري المعروف الاستاذ محمد احمد العزب ، فقالت عنه « انه شعر من المتحدة ، هو حصاد امد يمتد من عام ١٩٦٣ الى عام ١٩٦٩ ، رؤى متماسكة لا تقيم بين قديم وجديد ، يرسم ابعادها اسلوب ذاتي تجديدي ، يضع العزب في طليعة شعراء المرحلة .. يصور الشاعر بعفوية غنائية محببة ، جو الحالة النفسية التي يعيشها ، يستعيدها القارىء مشاركا بتجربة اللحظة ، وفي الافق الذي يرتسم تلاوين من نفسه ، ينبض فيها صدق انساني ساذج عميق في آن .. مسرح الشعر الجو العربي بما فيه من تطلع وتخبط ومآسي ومدارات . والشاعر امين لهذا المسرح ينقل الكثير من وساوسه وتطلعاته واحزانه في اطارها النفسي العاطفي » .

واذا ما عدنا اليه وجدناه يشتمل على تسع وثلاثين قصيدة ، من بينها ثماني قصائد من حصاد عام ١٩٦٩ ، وثمان اخرى من حصاد عام ١٩٦٨ وثمان كذلك من حصاد عام ١٩٦٧ وثلاث قصائد من عام ١٩٦٦ وخمس من عام ١٩٦٥ وست من عام ١٩٦٤ وقصيدة من عام ١٩٦٣ .

والقصائد ذات مضمون قومي ووطني وانساني ، وهي كلها من الشعر الحر من ناحية ، ويجمعها كلها ضباب رمزي شديد ، قل ان تستطيع معه النفاذ الى اعماق الشاعر ومحور فكره فيها ، وبذلك وضع الشاعر العزب نفسه وشعره مع الشعراء الرمزيين ، الذين تعرفهم وتقرأ لهم ، من امثال بودلير ، ومالرميه ، ورامبو ، وستيفن سبندر ، وبول فاليري ، ومن مثل بشر فارس وغيرهم .

واذا كان احد النقاد قد قال عن مالرميه انه خلق شيئا فشيئا رياضيات الكلمة ، وفن الايحاء الذي برز في عنفوانه في اخريات قصائده ، فاني اقول عن العزب انه صنع الضباب الكثيف حول قصائده ، وغلف كلماته باغلفة سميكة ، انت محتاج معها الى الوقوف طويلا امامها ، حتى تنفتح لك ابواب المعنى ، وتدلف فيها الى رحاب الفكرة الواسعة التي ارادها .

ومن حيث الشكل ايضا تجد شاعرنا العزب ينفرد في هذا الديوان بتسميات جديدة لبعض قصائده فيسمي بعض قصائده بكائية ، وبعضها حوارية وبعضها عتابية .

ففي الصفحة الثالثة عشرة من الديوان يقرأ قصيدته « بكائية من مناطق الصحو » وفي مطلعها يقول :

تخاصرنا
وغنينا

مواويلا مواويلا
كنزنا الليل احضانا ودغدغة وتقبيلا
دفنا حزننا الموبوء خلف الشال والمعطف
وارهقنا المناديلا

والقصيدة ذات مضمون انساني نبيل .

وفي الصفحة ١٣٩ قصيدة اخرى عنوانها « بكائية من شاعر جبان » ، وفيها صور جميلة يصور فيها شاعر اناني نفسه ومشاعره وذاته .

وهذا الديوان الجديد يحمل طابع الشاعر نفسه وحياته وتطلعاته وهو يمثل حياته في كثير من قصائده .. ويتصدره اهداؤه « الى : ع زوجتي وحبيبتي ، والى رائد ووائل ، احلى ما اعطتنا الايام » .

ويتضمن قصائد : ثلاث اغنيات الى خطيبتي (١٥٥) ، موعد مع الكلمات الخضراء (١٦١) ، موت امي (٢١١) ، العودة الى القرية (٢١٥) .

ولنقف عند قصيدة عام ١٩٦٤ وهي « موت امي » ذات المضمون الانساني الجميل الرفاف :

امي ماتت
واحدق خلف عيون الناس فلا ابصر حزنا
يا قسوة عين لا تبكي احزان الناس
امي ماتت
لكن حمائم جارتنا تمضي عني
مثنى مثنى
وانا أتحسى كلمات ذابلة الوجه بلا معنى
ماتت .. متنا
ويتمتم شيخ ثلجي الاحساس
أجل .. يرحمها الله
يا شيخ تالم لي
صعد حتى من شفتيك الآه
ما اقسى قلبك .. ما اقساه

ويستمر به الحزن الى الحيرة والتساؤل ومحاولة فهم فلسفة الحياة . يبدأ به تساؤله :

ما جدوى ان احيا .. او يحيا الاخر

ثم يعود الى تساؤلات اخرى :

ولماذا لا نحيا دنيانا الحلوة في هذا البيت
ما حكمة أن نحصد من حقل العالم اعناق الازهار
كي نطعم آلاف الديدان

ويصل الى المقبرة الحزينة ، فماذا يقول الشاعر ؟ ينادي بملء فيه :

يا أبت .. قم رحب بالضيف القادم من وادي العدم

وينتهي الموقف الدامع .. ويصور الشاعر العودة من المقبرة

ونعود مع الشفق الغارب
اطلال جدار منهار
ضيعنا الكنز وعدنا نبكي كالاطفال

ويبدو له شبح المأساة على البيت الصامت وحده من بين الدور .. وعلى نوافذ منزله بين نوافذ بيت الجارات هناك ، التي ترقص ذهلى بستائرها البيضاء اللاعبة على صدر الريح :

واكاد اصيح
ياكل ستائرهن الا تبصرن ستائرنا سوداء
بعضا من حزن

والقصيدة صورة حية نابضة لاحساس الحزين الدامع الذي راى احزانه في كل شيء ، ورأى من حوله الحياة ضاحكة في كل شيء .

وقصيدة العودة الى القرية وهي من حصاد عام ١٩٦٣ تعطيك شاعرا اعطى كل حبه للقرية ولحبه فيها ولاهلها الطيبين الفقراء في اكواخها .

وماذا تقول عن قصيدته : ثلاث اغنيات الى خطيبتي ؟ ، وموعد مع الكلمة الخضراء ، وهما من حصاد عام ١٩٦٥ .. هي كلها انسام رفافة اهداها عطرة الى اجمل موعد مع السعادة والحب والحياة .

فاذا ما عدنا الى عام ١٩٦٧ ، وجدنا عدة قصائد منها : الفدائي، اغنية للمقاومة ، الليل والغارات ، الشهيد ، ٢٣ يوليو ، الصيف الرجيم ، التعري .. وهي كلها قصائد ذات نزعة وطنية جارفة ، كانت كلها من وحي احداثه ، والهاما من نبع تياره .

ونقف مع عام ١٩٦٨ ، لنقرأ للشاعر قصيدته مسافر في التاريخ (ص ٥٩) ، ولها مضمونها الثائر القومي المعربد في احداث تاريخنا المعاصر .

ومن حصاد عام ١٩٦٩ تهزنا قصائده – اغنية الى بيان عسكري ، مأساة فاوست الجديد ، وهي قصائد لها ثقلها الفني والعاطفي والانساني والوطني . ولاترك ذلك كله الى قصيدته الزحام (١٦٧) . وهي قصيدة رائعة ، رائعة حقا ، بمضمونها ، بانسانيتها ، بصورها ، بكل جمالها :

في قلب مدينتنا لا يعرف انسان فينا ظله
الظل تسلق اكتاف الاشياء واكتاف الاحياء
ظلي لا يسقط فوق الارض لكي يرتاح من الاعياء
ابدا مصلوب فوق وجوه الاغيار
حتى ان لامس وجه الارض
وطأته اقدام الناس
وانا ايضا في سعيي احمل ظل الناس
لكني لا اطأ الظل

وهنا تستبد بالشاعر نفسه وذاته وانسانيته ويقف وحده ، بكل معانيه وافكاره وحياته بعيدا عن افكار مجتمعه وانانيتهم .

والقصيدة هذه من ارفع ما يمكن ان يقرأه احد لشاعر معاصر ، واحب لك يا قارئي العزيز أن تعود اليها مرة ومرة ومرة لتتذوق كل مضامينها الجميلة العالية .

وفي ختام هذه الكلمة احيلك مرة ثانية الى قصيدته « وجها لوجه » ص (١٩٧) بانسانيتها ، بموسيقاها ، بحلاوتها ، بعذوبة نغمتها ، بكل جمالها وجلالها .

وبعد فماذا اقول عن الديوان وعن الشاعر وعن الفنان ، وهي كلها قطعة حية تمثل انسانا في الثلاثينات ، يحمل اثقال العصر ، واوزاره ، ويغني ، ويسير يغني دائما للحب وللجمال وللانتصارات الانسان ، ولاحزان امته العربية ، في وداعة الطفل ، وبراءة الربيع ، وصفاء الشفق ، وجلال الحكيم .

القاهرة — محمد عبد المنعم خفاجي



ظهر حديثاً

- معركة الاصالة والزيف ـ تأليف حسين المغربي ـ ٩٠ صفحة ـ منشورات الدار التونسية للنشر بتونس ـ مطبعة الاتحاد العام التونسي للشغل بتونس .
- موقف الاسلام من كرامة الانسان ـ تأليف علي الشابي ـ ٤٨ صفحة ـ منشورات الدار التونسية للنشر بتونس ـ مطبعة الاتحاد العام التونسي للشغل بتونس .
- البترول في الاقتصاد والسياسة ـ تأليف محمد بكار ـ ٦٠ صفحة ـ سلسلة اعلم رقم ٤ ـ منشورات الدار التونسية للنشر بتونس ـ مطابع الاتحاد العام التونسي للشغل بتونس .
- قصة الكهرباء ـ تأليف عبد الرحمن عمار « ابن الواحة » ـ ٨٠ صفحة ـ سلسلة اعلم رقم ٥ ـ منشورات الدار التونسية للنشر بتونس ـ مطابع الاتحاد العام التونسي للشغل بتونس .
- آه ..! ـ قصيدة ـ ميخائيل ابو عقدة ـ ٤٨ صفحة ـ مطبعة الثبات بدمشق .
- الضياع الحزين ـ مجموعة شعرية ـ شكري هلال ـ تقديم رفيق فاخوري ـ الرسوم بريشة معتصم دالاتي ـ الخطوط بقلم الشاعر ـ ١٧٤ صفحة ـ مطبعة الاندلس بحمص سورية .
- الاغاريد ـ مجموعة شعرية ـ محمد بن علي السنوسي ـ تقديم محمد سعيد العامودي ـ ١٢٠ صفحة ـ مطابع دار الاصفهاني وشركاه بجدة السعودية .
- زورق الرحيل ـ مجموعة شعرية ـ محمد زين جابر ـ ٧٤ صفحة ـ (طبع في بيروت) ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .
- الحماسة في حياتنا وتراثنا : دراسة ميدانية للنخوات والهوسات ـ تأليف المحامي عبد القادر عياش عضو لجنة الفنون الشعبية بسورية ـ ٥٨ صفحة ـ حجم كبير ـ الكتاب ٢٨ في سلسلة تحقيقات فولكلورية من وادي الفرات ـ (طبع في دير الزور بسورية) ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .
- تاريخ العرب الادبي في الجاهلية وصدر الاسلام ـ تأليف البروفيسور رينولد نكلسن ـ ترجمة الدكتور صفاء خلوصي ـ ٤٣٢ صفحة ـ حجم كبير ـ ساعدت جامعة بغداد على نشر الكتاب ـ مطبعة المعارف ببغداد .
- جلنار ـ مجموعة شعرية ـ ابراهيم خليل العلاف ـ تقديم الدكتور جمال الدين الرمادي ـ ٩٦ صفحة ـ طبع بمؤسسة مكة للطباعة والاعلام بمكة المكرمة .
- التعليم الابتدائي بين الامس واليوم ـ ١٣٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات وزارة المعارف السعودية ـ مطابع مؤسسة منظورة للطباعة بيروت .
- تقرير عن التعليم الخاص لتربية المعاقين وتأهيلهم ـ ٤٠ صفحة باللغة العربية و ١٦ صفحة باللغة الانجليزية ـ مع عدة صور ـ حجم كبير ـ منشورات ادارة التعليم الخاص بوزارة المعارف السعودية ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .
- ازهار ـ مجموعة شعرية ـ منير سليمان ـ الرسوم لمحمد نصور ـ ١٦٠ صفحة ـ منشورات دار مجلة الثقافة في دمشق ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .
- ديوان علقمة الفحل بشرح الاعلم الشنتمري ـ حققه لطفي الصقال ودرية الخطيب ـ وراجعه الدكتور فخر الدين قباوة استاذ الادب العربي في جامعة حلب ـ ٢٦٦ صفحة ـ حجم كبير ـ الكتاب الاول في سلسلة كنوز الشعر العربي ـ منشورات دار الكتاب العربي بحلب ـ مطبعة الاصيل بحلب .
- بابل .. والضوء الجديد ـ مجموعة شعرية ـ محمد منذر لطفي ـ الغلاف ـ الفنان نعيم اسماعيل ـ الخطوط لزهير زرزور ـ ١٤٤ صفحة ـ منشورات دار الثقافة ـ مطبعة الشباب بدمشق .
- حكايات دبلوماسية ـ تأليف نجدة فتحي صفوة ـ ١٢٨ صفحة ـ مع عدة صور ـ (صدر في بيروت) ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .
- اساطير شعبية من قلب جزيرة العرب ـ المجموعة الرابعة ـ تأليف عبد الكريم الجهيمان ـ ٤١٦ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الثقافة ببيروت ـ مطبعة دار الكتب ببيروت .
- الانتاج الزراعي في لبنان في عشر سنوات ١٩٥٨ / ١٩٦٨ ـ تأليف الدكتور علي علي البنا من قسم الجغرافيا جامعة عين شمس وجامعة بيروت العربية ـ ٦٨ صفحة و ٨ صفحات باللغة الانجليزية ـ حجم كبير ـ مطبوعات جامعة بيروت العربية ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .
- الادب الديني : دراسات ادبية عن القرآن والدين ـ تأليف الدكتور زكي المحاسني ـ ١٧٦ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات مكتبة الانجلو المصرية بالقاهرة ـ المطبعة الفنية الحديثة بالقاهرة .
- قضايا ومجامر ـ مجموعة شعرية ـ ثريا ملحس ـ الغلاف للمهندس نائل ملحس ـ ٢٩٠ صفحة ـ حجم كبير ـ توزيع دار الكتاب اللبناني بيروت ـ مطابع مؤسسة خليفة بالبوشرية بيروت .
- وجه على رصيف روماني ـ مجموعة قصص ـ تأليف محمود الظاهر ـ ٧٦ صفحة ـ منشورات مكتبة بغداد ـ مطبعة سلمان الاعظمي ببغداد.
- غسل الدماغ ـ تأليف الدكتور فخري الدباغ ـ ٤٣٢ صفحة ـ حجم كبير ـ المؤسسة اللبنانية للنشر ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة)
- يوميات سياسي محترف ـ مجموعة شعرية ـ عبد الوهاب البياتي ـ ١٠٤ صفحات ـ منشورات دار العودة ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .
- عيون الكلاب الميتة ـ مجموعة شعرية ـ عبد الوهاب البياتي ـ مصمم الغلاف مصطفى الحلاج ـ ٩٦ صفحة ـ منشورات دار العودة ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .
- ملائكة وشياطين ـ مجموعة شعرية ـ عبد الوهاب البياتي ـ صمم الغلاف مصطفى الحلاج ـ طبعة ثالثة ـ ١٥٢ صفحة ـ منشورات دار العودة ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .
- عشرون قصيدة من برلين ـ مجموعة شعرية ـ عبد الوهاب البياتي ـ ٧٢ صفحة ـ منشورات دار العودة ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة).
- المجد للاطفال والزيتون ـ مجموعة شعرية ـ عبد الوهاب البياتي ـ ٨٠ صفحة ـ منشورات دار العودة ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة).
- اشعار في المنفى ـ مجموعة شعرية ـ عبد الوهاب البياتي ـ مصمم الغلاف مصطفى حلاج ـ طبعة خامسة ـ ٩٦ صفحة ـ منشورات دار العودة ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .